مسارات النفس الإنسانية بين التكامل والتسافل في فكر الإمام الصادق عليه السلام

الأستاذ المساعد
علاء إبراهيم المليسي الموسوي
الباحثة
أفراح حسن هادي
جامعة بابل ـ كلية التربية الاساسية

الملخص:

إن مضي النفس الانسانية في مسار التكامل يجب ان يكون من خلال العلاقة بالله وحبه وخوفه ورجائه، والارتباط بالرسول واهل بيته عليهم السلام، هذا من جانب.

ومن جانب أخر من خلال الخلق والانفتاح الاجتماعي والعطاء والجهاد في سبيل الله، ومعرفة أحكام الشريعة، ومفاهيمها.. الخ، ومجاهدة النفس وكبح جماحها لتتكامل، ولا يركز الاسلام على جانب دون آخر. ألا أن التأكيد على مجاهدة النفس لتتكامل عبر الرياضات، والأفكار، والمجاهدات من دون نهج إلهي يسير عليه الانسان وبمعزل عن الجوانب الاسلامية الأخرى من السهل أن ينتهي إلى الانحراف والخروج عن خط الاسلام السلوكي والفكري في الحياة.

إن الدِّين يهدف إلى التكامل بالنفس الانسانية وايصالها الى السعادة الأبدية وإنقاذ البشريّة عبر الدعوة إلى عبادة الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، وهذه السعادة لا يمكن تحصيلها ونيلها إلاّ بتطهير النفس من ألوان التعلّق بالماديّات ومجاهدتها ورفعها عن مستوى الحيوانيّة وهذا احد طرق الوصول الى الله تعالى، فهناك كلمة قيمة لأهل المعرفة وهي:(إن الطرق إلى معرفة الله بعدد أنفاس الخلائق بل فوقها بكثير وكثير) .

ومن هنا ذهب المسلمين في تطهير النفس ومجاهدتها واتخذوا ذلك طريق لتكامل النفس حتى تصبح مؤهلة للوصول الى الله تعالى، ومنهم من سمى هذا الطريق بالعرفان ومنهم من سماه بالتصوف، ومن هنا بدا الاختلاف حول أي الطريقين اصح وكلاً له رأيهُ الخاص.

ومن هنا وجب علينا في كل خلاف فكري أو مهمة فكرية عامة ولكي يكون مسارنا

مستقيماً وعلى جادة الصواب علينا ان نرجع إلى المقاييس التي وضعها الاسلام ونحتكم إليها ونستلهم منها وهي كتاب الله تعالى وسنة رسوله وأهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وسيرتهم العطرة الطاهرة.

إن العرفان عند الصادق عليه السلام يرتكز على التوكّل على اللّه تعالى وتنفيذ أحكامه وأوامره، والامتثال لنواهيه دون إهمال شؤون الدنيا أو تركها لئلاّ تضطرب الحياة اليومية وتفقد صفاءها وسعادتها كما ذهب الى ذلك المتصوفة، فهو لا يوصي بترك الدنيا للوصول إلى السعادة بل يرى أنّ السعادة هي في التوكّل على اللّه والتقوى، وتقبّل حظوظ الدنيا المشروعة. فليس منّا مَن ترك دنياه لآخرته وآخرته لدنياه، كما قال الله تعالى:- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)

الإنسان بعد مجيئه إلى هذا العالم وبلوغه إلى حدّ التفكير، فأوّل ما يرى نفسه ثمّ العالم حوله، ويحصّل من هذه المشاهد مفهوماً عامّاً يعبّر عنه بالوجود؛ فأوّل ما يعرض له من الأسئلة السؤال عن الوجود: ما هو؟

ويظنّ في بدء الأمر أنّه سؤال سهل ساذج، ولكن كلّما أمعن وتأمّل في الجواب ظهر له صعوبة الإجابة عنه أكثر، فأكثر ! وبالسعي في الإجابة حصل على معلومات حول أجزاء معيّنة من العالم الموجود والأشياء الموجودة، ظهرت بها علوم مختلفة يستهدف كلّ منها الجواب عن قسم من المسائل المطروحة التي اشتغل بها جمع من المحقّقين، الذين تمكّنوا بمجاهداتهم وتفحّصاتهم من اكتشاف غوامض كثيرة من أسرار هذا العالم.

ولكن رغم هذا الجهد الكبير والعمل المكثّف فالسؤال باق على حاله لم يتّضح بعد، ولم يتبيّن: ما هو الوجود؟

وجاء الأنبياء والرُّسل وأخبروا عن وجود عوالم أخرى غير محسوسة وموجودات مثلها لها السيطرة على العالم المرئي وحاكمة عليه، فتوسّع السؤال الأوّل وصار أكثر غموضاً وإشكالاً.

ولأجل الفحص عن الحقيقة والوصول إلى الجواب اشتغل أُناس بالتفكّر وتحليل

المعلومات والوصول بها إلى المجهولات تسمّوا باسم الفلاسفة وأهل النظر.

وآخرون اعتقدوا أنّ الوصول إلى الحقّ لا يمكن بالنظر الصرف، بل الطريق إلى ذلك هو الاشتغال بالمجاهدات والرياضات حتّى يتقوّى الإنسان ويتمكّن من معرفة نفسه أوّلاً، ثمّ باتّساع نفسه وإحاطتها في ظلّ هذا التوسّع على العالم حوله يتمكّن من معرفة العالم بقدر ما يحيط به ويشاهده عين نفسه. وأهل هذه الطريقة تسمّوا باسم العرفاء، وطريقتهم العرفان العملي.

وبعد ذلك عرض عدّة منهم مكاشفاتهم وما وجدوا في طيّ مراقباتهم على غيرهم، لكنّها كانت مطالب متفرّقة غير منسجمة ولا مترابطة، فتصدّى جمعٌ - وفي طليعتهم ابن عربي صاحب كتاب فصوص الحكم - لجمعها وتنسيقها وبيان ارتباطاتها وبعرض تلك المطالب والمشي على سياقها، وعند ذلك نشأ علمٌ آخر سمّي باسم العرفان النظري.

ولم تكن هذه المطالب قابلة للعرض في المجتمع العلمي بصورة مقبولة، وإنّما هي ادّعاءات من قِبَل قائلها غير قابلة للردّ والإثبات، فتصدّى جمع آخر لتبيينها البرهاني القابل للعرض على مستوى البحث العلمي، وكان من أوائل أولئك المجتهدين صائن الدّين علي بن محمّد التركة في كتابه تمهيد القواعد، ثمّ داوم المجاهدة حتّى جاء صدر المتألّهين الشيرازي، وتصدّى بوضع أُصول بنائيّة بيّن بها المعارف النظريّة العرفانيّة بلسان فلسفي - حسب ما قدّر له - وبذلك أوجد خطّاً وسطاً بين العرفان والفلسفة، سمّاه الحكمة المتعالية(١).

ويعتبر ((العرفان)) من المذاهب الفكريّة المتعالية والعميقة، فهو يسعى إلى معرفة الحقّ تبارك وتعالى ومعرفة حقائق الأمور، وأسرار العلوم، وطريقته ليست على وفق منهج الفلاسفة والحكماء؛ بل هي طريقة أتباع منهج الإشراق والكشف والشهود.

فهو رؤية في الكون والوجود تستند في بنيتها المعرفيّة إلى المعرفة الوجدانيّة القلبيّة، ويمكن ملاحظة العرفان من جهتين:

الأولى: من جهة كونه رؤية معرفيّة.

الثانية: من جهة كونه تجربة سلوك وعمل.

ومن اعتبر التصوّف مرحلة من مراحل العرفان فإنّه عندما يريد الإشارة إلى العرفان

باعتباره رؤية فإنّه يطلق عليه اسم ((العرفان)) وأصحابه هم ((العرفاء))، وعندما يريد الإشارة إليه باعتباره تجربة عمل فإنّه يطلق عليه اسم ((التصوّف)) وأصحابه هم ((المتصوّفة)).

وحول تحديد مفهوم العرفان أو تعريفه بكلا قسميه النظري والعملي يقول يثربي: ((العرفان هو عبارة عن العلم بالحقّ سبحانه من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفيّة رجوعها إلى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحديّة للحقّ تعالى، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتحرير النفس من علائقها وقيود جزئيّتها ولاتّصالها بمبدئها واتّصافها بنعت الإطلاق والكلّية))(١).

وحول الزاهد والعابد والعارف يقول الشيخ الرئيس ابن سينا (٢):

((المعرض عن متاع الدُّنيا وطيّباتها يخصّ باسم الزاهد، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوها يخصّ باسم العابد، والمنصرف بفكره إلى قُدس الجبروت مستديماً بشروق نور الحقّ في سرّه يخصّ باسم العارف، وقد يتركّب بعض هذه مع بعض)) (٣).

وكان مصطلح العارف رائجاً خلال القرن الثالث الهجري. فقد كان بايزيد البسطامي يستعمل مصطلح العارف مكان الصوفي.

فقد قال: كمال العارف هو أن يتبرّأ من المال والمنال، وإذا أردت أن تفديه بكلّ ما في هذه الدُّنيا والآخرة من أجل أن تكتسب صداقته، كان هذا الأمر أقلّ ما يمكن أن تفعله تجاهه (١).

وقال أيضاً: العارف لا يرى إلاّ المعروف، والعالم لا يجلس إلاّ مع العالم، فيقول العالم ماذا أفعل، ويقول العارف ماذا يفعل؟ (٢).

ويسعى العارف من خلال الكشف والشهود والإشراق للوصول إلى الحقائق والتمكّن من العلوم الظاهرة والباطنة؛ لذلك هو يقول إنّ الذي يدركه العالم، الحكيم، والفيلسوف، بالعقل والمنطق والاستدلال يراه العارف من خلال الإشراق (٣).

وفي هذا العرض المتقدّم يمكن لنا أن نستكشف منشأ العرفان - بكلا قسميه - وأصل وجوده في الذهن البشري كطريقة تفكير ومنهج حياة وطريقة سلوك، والأسباب الداعية إلى

وجود مثل هذه المنهجيّة المعرفيّة عند الإنسان.

فليس العرفان منهجاً غريباً وشاذّاً، بل له أسباب ودواع كغيره من العلوم وطرق المعرفة البشريّة استناداً إلى سعي الإنسان الحثيث والدائم عن حقيقة الوجود، وكذلك البحث عن كيفيّة الوصول إلى الحقّ عبر الوسائل المختلفة والممكنة.

ـ المبحث الاول ـ

طرق الوصول الى اللّه

هناك كلمة قيمة لأهل المعرفة وهي: (إن الطرق إلى معرفة الله بعدد أنفاس الخلائق بل فوقها بكثير وكثير)، إن الدّين يهدف إلى سعادة الإنسانيّة وإنقاذ البشريّة عبر الدعوة إلى عبادة الإله الواحد الأحد سبحانه وتعالى، وهذه السعادة لا يمكن تحصيلها ونيلها إلاّ بتطهير النفس من ألوان التعلّق بالماديّات ومجاهدتها ورفعها عن مستوى الحيوانيّة.

ومن هنا ذهب المسلمين في تطهير النفس ومجاهدتها واتخذوا ذلك طريق لتكامل النفس حتى تصبح مؤهلة للوصول الى الله تعالى، ومنهم من سمى هذا الطريق بالعرفان ومنهم من سماه بالتصوف، ومن هنا بدا الاختلاف حول أي الطريقين اصح وكلاً له رأيهُ الخاص.

فتاريخ التصوف يمتد إلى ما قبل الاسلام، وقد تسرب إلى الفكر الاسلامي، واندمج به كغيره من الأفكار الأجنبية، فوحدة الوجود والحلول قد جاءا من الفلسفة الهندية والأفلاطونية الحديثة، كما أن البوذية ترتكز تعاليمها على تهذيب النفس وتحريم الملذات. وقال الباحثون في التصوف: ان الصوفية المسلمين كانوا في أول امرهم يتلون القرآن، ويكثرون من العبادة وذكر الله، ثم تكلم أبو يزيد البسطامي في الفناء بالله، وهذه الفكرة توجد في البوذية، وتمسى عندهم " نرفانا ". وقال الباحثون أيضا: ان النصرانية أحد منابع التصوف، وعنها اخذ لبس الصوف، إذ كان كثير من الرهبان يلبسونه، والى النصرانية يسند الكلام في حب الله.

أمّا العرفان فلا يمكن القول بأنّه جاء من الهند، أو أنّه كان عند الفرس أو أنّه حصيلة الفلسفة الأفلاطونيّة الجديدة والتي هي بدورها حصيلة لامتزاج أفكار أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس، أو كان في الإسكندرية أو من الديانات الهنديّة أو المانويّة أو أنّه من آثار

المسيحيّة وانتقل إلى الإسلام نتيجة لاحتكاك المسلمين بالرهبان المسيحيّين، أوأنّه نشأ من أفكار بوذيّة، والعرفان الإسلامي امتداد لما كان عند هؤلاء كما يحاول بعض المفكّرين أو الكتّاب الإيحاء والقول بذلك.

فصحيح أنّ للعرفان جذوراً عند هؤلاء ولكنّه عندما جاء إلى الإسلام نما وترعرع، وصار له محتوى جديد ومغاير أيضاً لما هو موجود عند الآخرين. ويجب أن ندرك أنّ الدّين الإسلامي المقدّس هو نظام معتدل وبعيد عن الإفراط والتفريط الذي يكون في غير محلّه، لهذا فهو يخالف مرتاضي الهند (الذين يمارسون الرياضات الروحيّة القاسية)، ورهبان المسيحيّة، والسلوكيّة التي تخالف العقل السليم والاعتدال.

وسوف نسلط الاضواء في هذا البحث حول أي الطريقين أولى واصح مستندين بذلك على روايات رسول الله واهل البيت عليهم السلام بصورة عامة، وروايات الامام الصادق عليه السلام وتفسيره للآيات القرآنية بصورة خاصة، والله ولي التوفيق.

- ما هو العرفان

يعتبر ((العرفان)) من المذاهب الفكريّة المتعالية والعميقة، فهو يسعى إلى معرفة الحقّ تبارك وتعالى ومعرفة حقائق الأمور، وأسرار العلوم، وطريقته ليست على وفق منهج الفلاسفة والحكماء؛ بل هي طريقة أتباع منهج الإشراق والكشف والشهود. فهو رؤية في الكون والوجود تستند في بنيتها المعرفيّة إلى المعرفة الوجدانيّة القلبيّة، ويمكن ملاحظة العرفان من جهتين:

الأولى: من جهة كونه رؤية معرفيّة.

الثانية: من جهة كونه تجربة سلوك وعمل.

- العرفان في اللغة:-

وفي موضع آخر يقول: ((يُطلق العرفان في اللغة على العلم، ويطلق اصطلاحاً على لون خاصّ من الإدراك وهو الحاصل عن طريق تركيز الالتفات إلى باطن النفس (وليس من طريق التجربة الحسّية ولا من طريق التحليل العقلي) فخلال السير والسلوك عادةً تتمّ مكاشفةٌ تُشبه ((الرؤيا)).

وأمّا أرباب اللغة فقد أشاروا إلى أنّ ((العرفان)) مشتقّ من مادّة ((عرف))، فهو والمعرفة بمعنى واحد. قال ابن منظور ما ملخّصه: ((عرف: العرفان: العلم.. عَرَفَه.. يَعْرِفُه.. عَرَفَه.. عِرْفَةً وعِرفاناً وعِرِفّاناً ومَعْرِفَةً. ورجلٌ عروفٌ: عارفٌ، يعرفُ الأمورَ، ولا ينكرُ أحداً رآهُ مرّةً. والعريفُ والعارفُ بمعنى مثل عليم وعالم.. والجمع عُرَفَاء.. والذي حصّلناه للأئمّة: رجلُ عارفٌ، أي صبور، وعريفُ القوم: سيّدهم، والعريف: القيّم والسيّد؛ لمعرفته بسياسة القوم..))[١].

- العرفان في الاصطلاح:-

وحول تحديد مفهوم العرفان أو تعريفه بكلا قسميه النظري والعملي يقول يثربي: ((العرفان هو عبارة عن العلم بالحقّ سبحانه من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره، والعلم بأحوال المبدأ والمعاد وحقائق العالم وكيفيّة رجوعها إلى الحقيقة الواحدة التي هي الذات الأحديّة للحقّ تعالى، ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتحرير النفس من علائقها وقيود جزئيّتها ولاتّصالها بمبدئها واتّصافها بنعت الإطلاق والكلّية))[٢].

وفي تعريف يشمل العرفان(بكلا قسميه: النظري والعملي) يقدّم لنا القيصري تعريفاً له: ((فحدّه - يعني العرفان - هو العلم بالله سبحانه من حيث أسمائه وصفاته ومظاهره وأحوال المبدأ والمعاد وبحقائق العالم وبكيفيّة رجوعها إلى حقيقة واحدة هي الذات الإلهيّة ومعرفة طريق السلوك والمجاهدة لتخليص النفس من مضائق القيود الجزئيّة واتّصالها إلى مبدئها واتّصافها بنعت الإطلاق والكلّية))[٣].

وقال القاساني في اصطلاحات الصوفيّة: العارف: من أشهده الله ذاته وصفاته وأسماءه وأفعاله، فالمعرفة حال تحدث من شهوده[٤].

وقال بعض الأعلام المعاصرين في بيانه لحقيقة العرفان: العرفان في اللغة هو بمعنى المعرفة، ويطلق اصطلاحاً على المعرفة الحاصلة عن طريق المشاهدة القلبيّة لا بوساطة العقل ولا بفضل التجربة الحسّية، فالعارف الذي قد حقّق تقدّماً في سيره العرفاني ينظر إلى عالم الوجود على أنّه مظاهر لنور الباري جلّ وعلا، وكأنّ كلّ ظاهرة من ظواهر العالم مرآة تعكس الجمال الأحدي، وهو لا يرى وجوداً استقلاليّاً لأيّ موجود ما عدا الذات الإلهيّة

المقدّسة. وهذا اللون م٧٤٠ن المعرفة لا يحصل إلاّ في ظلّ العمل المخلص بأحكام الدِّين، وفي الواقع فإنّه الثمرة الرفيعة والنهائيّة للدِّين الحقيقي. وهذا هو النور المعنوي الذي يفيضه الله سبحانه على قلوب أحبّائه(٥).

وحول الزاهد والعابد والعارف يقول الشيخ الرئيس ابن سينا(٦): ((المعرض عن متاع الدُّنيا وطيّباتها يخصّ باسم الزاهد، والمواظب على فعل العبادات من القيام والصيام ونحوها يخصّ باسم العابد، والمنصرف بفكره إلى قُدس الجبروت مستديماً بشروق نور الحقّ في سرّه يخصّ باسم العارف، وقد يتركّب بعض هذه مع بعض))(٧).

وكان مصطلح العارف رائجاً خلال القرن الثالث الهجري. فقد كان بايزيد البسطامي يستعمل مصطلح العارف مكان الصوفي. فقد قال البسطامي: كمال العارف هو أن يتبرّأ من المال والمنال، وإذا أردت أن تفديه بكلّ ما في هذه الدُّنيا والآخرة من أجل أن تكتسب صداقته، كان هذا الأمر أقلّ ما يمكن أن تفعله تجاهه(٨).

وقال أيضاً: العارف لا يرى إلاّ المعروف، والعالم لا يجلس إلاّ مع العالم، فيقول العالم ماذا أفعل، ويقول العارف ماذا يفعل؟(٩).

ويسعى العارف من خلال الكشف والشهود والإشراق للوصول إلى الحقائق والتمكّن من العلوم الظاهرة والباطنة لذلك هو يقول إنّ الذي يدركه العالم، الحكيم، والفيلسوف، بالعقل والمنطق والاستدلال يراه العارف من خلال الإشراق(١٠).

وفي هذا العرض المتقدّم يمكن لنا أن نستكشف منشأ العرفان وأصل وجوده في الذهن البشري كطريقة تفكير ومنهج حياة وطريقة سلوك، والأسباب الداعية إلى وجود مثل هذه المنهجيّة المعرفيّة عند الإنسان.

فليس العرفان منهجاً غريباً وشاذّاً، بل له أسباب ودواع كغيره من العلوم وطرق المعرفة البشريّة استناداً إلى سعي الإنسان الحثيث والدائم عن حقيقة الوجود، وكذلك البحث عن كيفيّة الوصول إلى الحقّ عبر الوسائل المختلفة والممكنة. فكانت طريقة العرفاء تسير بشكل متواز مع سائر الطرق الباحثة عن الحقّ والتي اعترضها في طريقها بعض الإشكالات كما عرض ذلك لغيرها من طرق المعرفة.

- وفي بيانه لحقيقة النظام المعرفي للعرفاء يقول الجابري:

((وهكذا يبدو العرفان نظاماً معرفيّاً مستقلاً قائماً بذاته، ينفصل عن سواه في نظرته واتّجاهه وفي فضائه وميدانه الخاصّ، وبالتالي في أنّه منهج وطريق في المعرفة. وبالرغم من عدم تأييدنا للبحث عن المعنى المصطلح لمفردة ((العرفان)) خارج عن نطاق دائرة المصادر الفكريّة للثقافة العربيّة والإسلاميّة، إلاّ أنّنا نلفت إلى أنّ هذا المصطلح على ما ينقل بعض المفكّرين المعاصرين (في اللغات الأجنبيّة) يسمّى ((الغنوص)) (gnose) ومعناها: ((المعرفة))، وقد استعملت بمعنى العلم والحكمة))[١١].

وتجدر الإشارة إلى أنّ ((الغنوص)) في المنظور المصطلحي المعاصر يرتبط بتاريخ الديانات، فهو محاولة لعقلنة المعطى الديني، ولتأويل مضمونه الرمزي والأسطوري، هكذا يظهر الغنوص ثلاث محاولات معرفيّة: فهو معرفة نظريّة بقوانين الكون الأكبر والكون الأصغر، ومعرفة تاريخيّة بتطوّر العالم وسقوطه وصعوده نحو الخلاص، ثمّ هو أخيراً معرفة عمليّة، هدفها تحقيق الخلاص والسعادة الروحيّة))[١٢].

وقد بدأ الكلام عن المعرفة أو العرفان عند صوفيّة القرنين الثالث والرابع الهجريّين، ومن أبرز هؤلاء ذو النون المصري المتوفّى سنة ٢٤٥هـ، الذي جعل معرفة الصوفيّة في مقابل معرفة الحكماء والمتكلّمين، فالأولى ذوقيّة مباشرة، والثانية عقليّة استدلاليّة، ويعتبر الغزالي المتوفّى سنة ٥٠٥ هـ، أوّل من عمّق الكلام

في المعرفة الصوفيّة، وجعل التصوّف كلّه نظرية في العرفان بالله مؤدّية إلى السعادة. وما يسمّيه صوفيّة الإسلام ((المعرفة بالله))، ويعتبرونه من أخصّ صفاتهم يرادف في اللغة اليونانيّة كلمة Gnosis التي معناها:

العلم بلا واسطة، الناشئ عن الكشف والشهود. ويطلِق بعض صوفيّة الإسلام على العرفان أيضاً: ((المعرفة اللدنيّة)) أي التي تكون من لدن الله، أو ((العلم اللدني))[١٣].

- أقسام العرفان:

من الأبحاث المتقدّمة عن حقيقة العرفان ومعناه وأصوله تتبيّن لنا أنّه ينقسم إلى قسمين:

أوّلاً: العرفان النظري.

ثانياً: العرفان العملي.

فما هو المراد من هذين القسمين؟

أوّلاً: العرفان النظري: وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانيّة التي تحاول أن تعطي تفسيراً كاملاً عن الوجود ونظامه وتجلّياته ومراتبه. بعبارة أخرى: العرفان النظري هو بصدد إعطاء رؤية كونيّة عن المحاور الأساسيّة في عالم الوجود. وهي ((الله)) و ((الإنسان)) و ((العالم)). ولكن هذه الرؤية يستند العارف في تأسيسها على المكاشفة والشهود، ومن هنا فإنّ العرفان النظري هو علم له موضوع ومبادئ ومسائل، كأيّ لون من ألوان المعرفة الأخرى.

والكلام في هذا القسم من العرفان يقع في مقامين:

المقام الأوّل: في الطريق الموصل لمعرفة حقائق الوجود على ما هي عليه وخصوصاً المعارف المرتبطة

بالتوحيد، فالعرفاني يعتقد أنّه لا طريق لتلك المعرفة إلاّ من خلال تصفية القلب وتزكيته بواسطة الرياضات المعنويّة التي أقرّها الشارع المقدّس.

يقول السيّد حيدر الآملي: ((اعلم أنّ العلوم كلّها تنقسم إلى قسمين: رسميّ اكتسابيّ، وإرثيّ إلهيّ، فالعلم الرسمي الاكتسابي يكون بالتعليم الإنساني على التدريج، مع نصَب قويّ وتعب شديد في مدّة طويلة، والعلم الإرثي الإلهي يكون تحصيله بالتعليم الربّاني بالتدريج وغير التدريج مع رَوح وراحة - في مدّة يسيرة - وكلّ واحد منهما يحصل بدون الآخر، ولكنّ الثاني - أي العلم الإرثي - يفيد بدون الأوّل، والعلم الأوّل لا يفيد بدون العلم الثاني، كعلوم الأنبياء والأولياء، فإنّها تفيد بدون العلم الظاهر، بخلاف العلم الظاهر فإنّه لا يفيد بدونه.

وإليهما أشار النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: ((العلم علمان؛ علم اللسان فذلك حجّة الله على ابن آدم، وعلم في القلب، وذلك هو العلم النافع)) (١٤). وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: ((العلم علمان مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع))[١٥].

والقسمان بأسرهما يمكن تحصيلهما والجمع بينهما، كما كانا حاصلين للكثير من الأنبياء

والأولياء والكمّل - ومع تقديرهما - الأصلح والأنفع منهما لا يكون إلاّ العلم الثاني أي الذي في القلب، لأنّ العلم الأوّل ليس له نفع ومع أنّه كذلك المضرّة منه متوقّعة، بل هي واقعة وحاصلة، وأقلّها الحرمان من حصول المعارف الحقيقيّة والعلوم الإرثيّة التي هي سبب المنفعة دنياً وآخرة.

بيان ذلك: أنّ النفع من العلوم - في هذا المكان - هو تحصيل معرفة الله على سبيل اليقين، ومعرفة الأشياء على ما هي عليه، التي هي أيضاً من معرفة الله تعالى، لأنّ من عرف الأشياء على ما هي عليه عرف الله تعالى، على ما هو عليه، ومن عرف الله على ما هو عليه عرف الأشياء على ما هي عليه؛ لاستحالة انفكاك كلّ واحد منهما عن الآخر، وكلاهما مستحيل الحصول من العلوم الرسميّة.

أمّا الأوّل - أي معرفة الله - فلأنّهم أقرّوا بعجزهم عن معرفة ذات الحقّ ووجوده، وقالوا: نحن ما نعرف منه إلاّ أسماءه وصفاته وأفعاله، والحال أنّ الذي قالوه في هذه المعارف أيضاً - عند التحقيق - لا يشهد إلاّ بجهلهم.

وأمّا الثاني- أي معرفة النفس -:فلأنّهم عجزوا عن معرفة أنفسهم التي هي أقرب الأشياء إليهم فضلاً عن غيرها))[١٦].

((وأمّا كيفيّة تحصيل العلوم الحقيقيّة - أي الإرثي الإلهي - فهو في غاية السهولة، لأنّها موقوفة على فراغ القلب وصفاء الباطن، وهذا يمكن بساعة واحدة وبيوم واحد وبليلة واحدة ! هذا إذا كان القائل بها قائلاً بالكسب، وأمّا إذا لم يكن قائلاً به، بل يكون قائلاً بأنّها هبة إلهيّة وعطيّة ربّانيّة، فيمكن حصولها بأقلّ من ذلك))[١٧].

وقال الشيخ الأكبر محي الدّين بن عربي في بعض رسائله: ((فينبغي للعاقل أن يخلي قلبه من الفكر - إذا أراد معرفة الله تعالى من حيث المشاهدة - ومن المُحال على العارف بمرتبة العقل والفكر أن يسكن ويستريح، ولاسيّما في معرفة الله تعالى. ومن المحال أن يعرف ماهيّته بطريق النظر))[١٨].

ثانياً: العرفان العملي: وهو مرتبط بالسلوك وبالعمل وبالمجاهدة الخارجيّة ولا علاقة لذلك بالرؤية الكونيّة أي بالعرفان النظري، وهو الذي يتعهّد تفسير وبيان

مقامات العارفين ودرجات السالكين إلى القُرب الإلهي بقدم المجاهدة والتصفية والتزكية، وأمّا الغاية التي يبتغيها العارف في سلوكه فهي الوصول إلى مقام أن لا يرى في الوجود غيره تعالى، أي أنّ العارف يريد أن يصل إلى مرتبة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥). يريد أن يصل إلى مقام أن يرى الله تعالى أقرب إلى الإنسان من نفسه؛ لأنّه تعالى ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ (الأنفال: ٢٤).

فلهذا ورد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الله جعل الذِّكر جلاءً للقلوب، تسمع به بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد به بعد المعاندة، وما برح لله - عزّت آلاؤه - في البرهة بعد البرهة وفي أزمان الفترات عباد ناجاهم في فكرهم وكلَّمهم في ذات عقولهم))[١٩].

وورد عنه عليه السلام أيضاً: ((قد أحيى عقله وأمات نفسه حتّى دقَّ جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربّه))[٢٠].

وخلاصة الكلام أنّ العارف السالك إلى الله يريد أن يصل إلى مقام ((لا يزال العبد يتقرّب إليَّ بالنوافل حتّى أحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها))[٢١]، فإذا كان السمع إلهيّاً فإنّه لا يسمع إلاّ الحقّ، وإذا كان البصر إلهيّاً فإنّه لا يرى إلاّ الحقّ وإذا كان اللسان إلهيّاً فإنّه لا ينطق إلاّ بالحقّ، وإذا كانت اليد إلهيّةً فإنّها لا تبطش إلاّ بالحقّ، فيكون هذا العبد إلهيّاً في كلّ حركاته وسكناته. فالعرفان العملي يرتبط بسلوك الإنسان وبعمله.

العرفان وركائزه في الإسلام

للمذهب العرفاني قواعد تختصّ به في الفكر الإسلامي، ففي الفلسفة يُقال بأنّها جاءت من اليونان، وعندما انتقلت إلى الإسلام لبست ثوباً جديداً، وأخذت محتوىً مغايراً ومختلفاً.

أمّا العرفان فلا يمكن القول بأنّه جاء من الهند، أو أنّه كان عند الفرس أو أنّه حصيلة

الفلسفة الأفلاطونيّة الجديدة والتي هي بدورها حصيلة لامتزاج أفكار أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس، أو كان في الإسكندرية أو من الديانات الهنديّة أو المانويّة أو أنّه من آثار المسيحيّة وانتقل إلى الإسلام نتيجة لاحتكاك المسلمين بالرهبان المسيحيّين، أو أنّه نشأ من أفكار بوذيّة، والعرفان الإسلامي امتداد لما كان عند هؤلاء كما يحاول بعض المفكّرين أو الكتّاب الإيحاء والقول بذلك.

فصحيح أنّ للعرفان جذوراً عند هؤلاء ولكنّه عندما جاء إلى الإسلام نما وترعرع، وصار له محتوى جديد ومغاير أيضاً لما هو موجود عند الآخرين. ((على أنّ الرياضات الروحيّة، وكبح جماح النفس، والابتعاد عن العلائق الدنيويّة، كانت موجودة في الفلسفة الهنديّة، وكذلك نجد وحدة الوجود والأفكار الصوفيّة الأخرى في عقائد أفلاطون المحدثة. وترى في الغنوصيّة نظماً عرفانيّة وإشراقيّة. وتجد في العرفان المسيحي ما يناظره في العرفان الإسلامي. كذلك يوجد الكثير من المشتركات بين الفلسفة الإشراقيّة للشيخ شهاب الدّين السهروردي المعروف بشيخ الإشراق، والفلسفة الإيرانيّة القديمة وآراء ونظريّات الحكيم خسرواني، والحكيم بهلوني... يجب أن ندرك أنّ الدّين الإسلامي المقدّس هو نظام معتدل وبعيد عن الإفراط والتفريط الذي يكون في غير محلّه، لهذا فهو يخالف مرتاضي الهند (الذين يمارسون الرياضات الروحيّة القاسية)، ورهبان المسيحيّة، والسلوكيّة التي تخالف العقل السليم والاعتدال))[٢٢].

وبكلمة واحدة نستطيع أن نقول إنّ الأصل في العرفان والركيزة الأساسيّة له في الإسلام هو بيان العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى. فالعرفان الإسلامي هو علم يشابه سائر العلوم كالفقه والأصول والتفسير والحديث، وهو في نظر أهله من العلوم التي أُخذت أُسسها وموادّها الأصليّة من الإسلام، وليس هو من قبيل الرياضة والطبّ التي وفدت إلى العالم الإسلامي من الخارج وبلغت الرُّشد والتكامل في أحضان المعارف الإسلاميّة.

فالتصوّف جزء من حركة الأمم وثقافتهم وطريقة سلوكها في التعبير عن الشأن العبادي المختصّ بها سواء كانت ديانة توحيديّة أم ديانة وثنيّة. وهذا الاسم المشترك بين الإسلام وغيره لا يعني انتقال مسألة العرفان والتصوّف من الأديان الوثنيّة إلى الإسلام بنفس المحتوى والمضمون، ولكنّه انتقل ((لا بمعنى الأخذ والتقليد العادي كوراثة الناس ألوان المدنيّة

بعضهم من بعض وأُمّة منهم متأخّرة من أُمّة منهم متقدّمة))[٢٣]، والسبب في ذلك هو الاختلاف بين ما يدعو إليه الإسلام وما تدعو إليه سائر الديانات والأفكار والمذاهب، فـ" دين الفطرة يهدي إلى الزُّهد والزّهد يرشد إلى عرفان النفس، فاستقرار الدِّين بين أمّة وتمكّنه من قلوبهم يعدّهم ويهيّئهم لأن تنشأ بينهم طريقة عرفان نفس لا محالة))[٢٤].

إذن فمن وجهة نظر الطباطبائي أنّ دخول العامل الديني على أيّة أمّة كفيل بتصحيح مسارها الفكري وتصويب منهجها، وعلى هذا ((فمكث الحياة الدينيّة في أُمّة من الأُمم برهة معتدّاً بها ينشئ بينهم هذه الطريقة لا محالة صحيحة أو فاسدة وإن انقطعوا عن غيرهم من الأمم الدينيّة كلّ الانقطاع، وما هذا شأنه لا ينبغي أن يعدّ من السنن الموروثة التي يأخذها جيلٌ عن جيل))[٢٥].

ولتقريب المسألة أكثر نقول: بأنّه في العرفان عندنا مسألتان أساسيّتان:

المسألة الأولى: ما هو التوحيد؟

المسألة الثانية: مَنْ هو الموحِّد؟

فالنقطة الأساسيّة والمركزيّة في العرفان هي هاتان المسألتان، نعم قد تجد في الرؤى الفلسفيّة أو الكلاميّة أنّ هناك حديثاً عن هذه المسائل ولكنّها ليست المحور لكلّ شيء، وطبعاً هذا الكلام عن عدم محوريّة الحديث في الرؤى الفلسفيّة عن قضيّة التوحيد لا يشمل أو لا يطال الفلاسفة العرفانيّين كأمثال صدر المتألّهين باعتبار وجود هذا المذهب والمشرب العرفاني في الحكمة المتعالية؛ حيث استطاع هذا الفيلسوف الكبير أن يقرّب الفلسفة إلى العرفان.

وفي كلمات صدر المتألّهين ما يشير إلى أنّ هاتين المسألتين هما الأساس عند العرفاء، يقول: ((أمّا العرفاء فقد خرجوا عن التعلّقات بما سوى الله تعالى، وقصروا النظر على وجه الله، من غير التفات إلى ذواتهم فضلاً عن غيرها وحصل لهم الموت الإرادي عن هذه النشأة الدُّنياويّة))[٢٦]. وقال:- ((.. فنّ الربوبيّات من المفارقات المسمّى بأثولوجيا من العلم الكلّي والفلسفة وعلم النفس من الطبيعيّات فإنّهما من المقاصد التي هي أساس العلم والعرفان..))[٢٧].

وتحقيق القول في قضيّة منشأ العرفان وكونه مصطلحاً منتزعاً من داخل بيئة الإسلام أو أنّه معرّب عن لغة أُخرى أو بيئة فكريّة أخرى؟ فإنّ هذه القضيّة تحتاج إلى تحقيق موسّع ومفصّل.

ولكنّنا عندما نرجع إلى الروايات الصادرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأئمّة أهل البيت عليهم السلام نجد ألفاظاً من قبيل عرف وعرفان ومعرفة والوقوف في عرفات و... وكلّها ألفاظ تشير إلى محور معيّن لهذه الكلمة، وإشارات إلى هذا المصطلح الموجود، أمّا عن وجود ما يرادفها فإنّ الطباطبائي عندما يعبّر عن العرفان يقول: العرفان الفارسي، العرفان اليوناني... ولكن هل هذا يعني أنّ هذا الاصطلاح موجود أو غير موجود؟ وأنّ المحتوى كان موجوداً في تلك العصور القديمة أيضاً مع الفارق بينه في تلك الأزمنة وبين ما وصل إليه العرفان الإسلامي؟ هذه بحوث تحتاج إلى تفصيل كما ذكرنا، مع الإشارة فقط إلى أنّه في الأزمنة القديمة كان يسمّى ((غنوص)) وما يعبّر عنه بالظاهر الغنوصيّة التي تعني نفس الظاهرة العرفانيّة، وهي أقرب ما تكون إلى الباطنيّة، أمّا في الإسلام فإنّ المراد من العرفان هو تلك الرؤية الكونيّة.

وإلى هنا تكون جملة من الأمور قد اتّضحت لدينا وهي:

أوّلاً: أنّ العرفان إنّما يُشاد على طبيعة النظرة التوحيديّة للإنسان، وعلى نقطة البداية للإنسان إزاء مبدأ التوحيد.

ثانياً: أنّ العرفان يضمّ النظرية والتطبيق أو السلوك في نفس الوقت، بينما التصوّف هو ظاهرة اجتماعيّة لها أعرافها الخاصّة.

ثالثاً: أنّ العرفان مصطلح عريق في اللغة العربيّة، ومع كونه موجوداً ما قبل الإسلام إلاّ أنّه مغاير لرؤية الإسلام ومنهجه في الحياة، والعرفان الإسلامي نشأ من داخل البيئة الفكريّة الإسلاميّة.

- التصوّف

-التصوف في اللغة:- يقول شهاب الدّين السهروردي: ((وأقوال المشايخ في ماهيّة التصوّف تزيد على ألف قول. فإنّ الألفاظ وإن اختلفت متقاربة)). فكلمة ((التصوّف)) من الكلمات الغامضة التي تعدّدت تعريفاتها ومفاهيمها، ولذا اعتبر البعض أنّ هذه الكلمة لم

ترد في اللغة العربيّة كما لا يوجد لها أصل في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله. يقول أبو القاسم القشيري، الصوفي والعارف المشهور في القرن الخامس الهجري في الرسالة القشيريّة في الباب الثاني والأربعين (من الترجمة الفارسيّة): ((.. ولا تجد لهذا اسماً أو اشتقاقاً له في اللغة العربيّة، والظاهر أنّه لقب مثل بقيّة الألقاب))[٢٨].

وبمتابعة ما هو موجود في بعض المصادر اللغوية نجد أنّ التصوّف في اللغة العربيّة مصدر على وزن تفعّل. فهو مصدر اشتقّ من اسم، ويعني لبس الصوف مثل: تقمّص؛ فهي تعني لبس القميص، وتعني كذلك مسكه وأخذه باليد. ومن بين المعاني المشتقّة العديدة في تبيين ما أُشير لمعناه ((بالصوف))؛ فهو الأرجح من ناحية قواعد الصرف العربيّة[٢٩].

وفي مصادر اللغة ترد كلمة ((صوف)) للدلالة على الصوف المعروف للشاة ونحوها[٣٠].

والتصوّف: ((مصدر الفعل الخماسي المصوغ من ((صوف)) للدلالة على لبس الصوف، ومن ثمّ كان المتجرّد لحياة الصوفيّة يسمّى صوفيّاً))[٣١].

إن كلمة التصوّف من الكلمات الغامضة التي تعدّدت تعريفاتها ومفاهيمها، ويرجع ذلك إلى تداولها بين الديانات المختلفة والحضارات الإنسانيّة على مرّ العصور التاريخيّة، كما أنّ كلّ صوفي يخضع تعبيره للتجربة التي خاضها في إطار ما يسود عصره من أفكار، ولا يخضع لحضارة مجتمعه من تطوّر أو اضمحلال، وأنّ هذه الكلمة لا ترد في اللغة العربيّة كما لا توجد أصلاً في كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله.. كما أنّ الباحثين لم يجمعوا على تعريف شامل جامع لها[٣٢].

- التصوّف في الاصطلاح:- تعدّدت الأقوال في بيان معنى وحقيقة التصوّف، ولم تعطنا معنىً شاملاً مانعاً لكلمة الصوفيّة، ووقع الخلاف في تفسير النسبة الحقيقيّة لمعنى الكلمة حسب ما وردت في كلمات أهل الصوفيّة.

جاء في كتاب مصطلحات التصوّف لابن عجيبة حول معنى التصوّف: ((علمٌ يُعرف به كيفيّة السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل، أو غيبة الخلق في شهود الحقّ، أو مع الرجوع إلى الأثر فأوّله علم ووسطه عمل وآخره موهبة؛ واشتقاقه إمّا من الصفاء لأنّ مداره على التصفية، أو من الصفة لأنّه اتّصاف

بالكلمات، أو من صفّة المسجد النبوي لأنّ الصوفيّة متشبّهون بأهل الصفّة في التوجّه والانقطاع، أو من الصوف لأنّ جلّ لباسهم الصوف تقلّلاً من الدُّنيا وزهداً فيها؛ اختاروا ذلك لأنّه كان لباس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا الاشتقاق أليق لغةً وأظهر نسبة؛ لأنّ لباس الصوف حكم ظاهر على الظاهر ونسبتهم إلى غيره أمرٌ باطن، والحكم بالظاهر أوفق وأقرب؛ يُقال (تصوّف) إذا لبس الصوف، كما يُقال (تقمّص) إذا لبس القميص، والنسبة إليه صوفي. وقال الجنيد: الصوفي كالأرض يطرح عليه كلّ قبيح ولا يخرج منه إلاّ كلّ مليح. وقال أيضاً: الصوفي كالأرض يطأه البرّ والفاجر، وكالسماء يظلّ كلّ شيء، وكالمطر يسقي كلّ شيء))[٣٣].

وورد في كتاب ((كشّاف اصطلاحات الفنون)): ((أنّه جاء في (توضيح المذاهب) ما يلي: في اللغة التصوّف يعني ارتداء الصوف، وهذا نتيجة الزّهد وترك الدُّنيا، وفي نظر أهل العرفان تطهير القلب من محبّة ما سوى الخالق، وتقديم الظاهر من حيث العمل والاعتقاد بالتكليف أو المأمور به، والابتعاد عن المنهيّ عنه، والالتزام بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، فهؤلاء الجماعة من المتصوّفة المحقّة. وتوجد جماعات أخرى متصوّفة باطلة، يحسبون أنفسهم من الصوفيّة ولكنّهم ليسوا من الصوفيّة الحقّة وهم عدّة فرق))[٣٤].

ويورِد أبو الحسن علي بن عثمان جلابي في كتاب - كشف المحجوب[٣٥]- المعاني المتعدّدة والأقوال المختلفة في نسبة الكلمة فيقول: ((قيل الكثير في التصوّف وألّفت فيه الكتب، فقالت جماعة: يعدُّ الصوفي صوفيّاً عندما يلبس الصوف، وقال آخرون: نعت الصوفي بهذا الاسم لأنّه يتولّى أصحاب الصفّة[٣٦]، وقال غيرهم: إنّ هذا الاسم مشتقّ من الصفا، ولكن جميع هذه المعاني اللغوية بعيدة عن معنى التصوّف))[٣٧].

ويقول أبو نصر السرّاج الطوسي في كتابه ((اللمع في التصوّف))[٣٨]: ((إنّ الصوفيّة هم العلماء بأحكام الله العاملون بما علّمهم الله، المتحقّقون بما استعملهم الله، الواجدون بما تحقّقوا، الفانون بما وجدوا، لأنّ كلّ واجد قد فني بما وجد))[٣٩].

ويعرِّف ابن خلدون التصوّف في مقدّمته بما يلي: ((هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدُّنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذّة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة))[٤٠]. وهنا تجدر الإشارة إلى

تعريف الصوفيّة عند أهل التصوّف أنفسهم لإيفاء الغرض والمقصد حقّه، وبيان وجهة نظر الصوفيّة فيما يتعلّق بالتصوّف والصوفيّة.

ـ التصوف عند المتصوفة

يرى أهل التصوّف أنّ المتصوّف أقلّ درجة من الصوفي؛ لأنّ المتصوّف هو المبتدئ بسلوك الطريق الصوفي، في حين أنّ الصوفي هو من سلك ووصل فاستحقّ لقب (صوفيّ) من شيخ الطريقة، وممّا ورد على ألسنتهم في التعريف، قال أبو سعيد أبو الخير: ((التصوّف شيئان: النظر إلى اتّجاه واحد، والعيش على طريقة واحدة))[٤١]، وقال: ((كذلك التصوّف اسم واقع فإذا تمّ فهو الله))[٤٢].

وقال ذو النون المصري: ((الصوفي هو الذي يكون في نطقه بيان لحقائق نفسه، وفي سكوته يكون فعله مثالاً عن حاله، وعندما تقطع علائقه - الدنيويّة - يصبح ناطقاً)).ويقول أبو الحسن الثوري: ((التصوّف هو الابتعاد وترك العلائق النفسانيّة، فالمتصوّفة هم الذين أطلقوا أنفسهم من كدر البشريّة، وتخلّصوا من الآفات النفسانيّة وهواها، وذلك من أجل أن يكونوا في مقدّمة الصفّ، وفي أعلى عليّين مطمئنّين إلى جانب الحقّ فارّين من غيره))[٤٣].

ويقول أبو عبد الله الشبلي[٤٤]: ((الصوفي هو الذي لا يرى شيئاً في العالمين غير الله))[٤٥]. وقوله العالمين أي: عالم الدُّنيا والآخرة. ويقول الجنيد[٤٦]: ((نحن لم نحصل على التصوّف من القيل والقال، بل حصلنا عليه من الجوع والابتعاد عن الآمال والانقطاع عن كلّ ما كنّا نحبّ.

ـ تاريخ التصوف

يرى الباحثون أنّ بذور التصوّف ظهرت في سماء الفكر الإسلامي في بداية القرن الثاني الهجري على هيئة نزعات شديدة من الزّهد في متاع وزخرف الدُّنيا نتيجة ما وقع فيه العالم الإسلامي وقتئذ من حوادث شديدة أثّرت تأثيراً كبيراً في جميع جوانب الحياة، وإن كان بعض الباحثين يرجع ظهور التصوّف إلى عاملين:

أوّلهما: الذنوب التي يقترفها العاصي المسلم ومحاولته محوها بطلب المغفرة من ربّه.

ثانيهما: يتمثّل في الرعب الشديد الذي ينتاب العُصاة في اليوم الآخر وما أُعدّ فيه من

عذاب شديد لهم، ممّا يجعلهم يطلبون التوبة من خالقهم والزّهد في الحياة[٤٧].

وهذا ما يشير إليه ابن خلدون في مقدّمته من أنّ التصوّف بعنوانه الخاصّ قد ظهر في القرن الثاني الهجري[٤٨]، واتّجهت أنظار الفقهاء، والمتشرّعين، والحكماء، والفلاسفة إلى هذا المصطلح في ذلك الزمن. ويرى البعض أنّ مصطلح الصوفيّة يعود إلى أوائل القرن الثاني الهجري في زمن الحسن البصري (ت: ١١٠هـ)، وذكروا أنّ البصري كان أوّل من استعمل كلمة الصوفي عندما قال: ((رأيت صوفيّاً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذ))[٤٩]. وأنّ أوّل من لبس الصوف وأُطلق عليه متصوّفاً هو أبو هاشم الكوفي؛ لأنّه زهد في الدُّنيا وما فيها من متع وزخرف.

ـ فرق الصوفية:

أخذ التصوف صوراً وأشكالاً مختلفة على مر تاريخ المسلمين غير أنه لم يترجم على هيئة فرق إلا في عصور متأخرة في حدود القرن السادس الهجري.

وفرق الصوفية أكثر من أن تحصى وهي منتشرة في جميع بقاع العالم الإسلامي وليس هناك من فروق تميز إحداها عن الأخرى سوى في الأوراد والأذكار التي يرددونها في المناسبات الإسلامية ومناسباتهم الخاصة التي ترتبط بمؤسسيها، كما أن هذه الفرق جميعها ترتبط بعقيدة أهل السنة.

وفرق الصوفية لم تحظ باعتراف الفرق الوهابية التي تعتبرها خارجة عن الإسلام الصحيح وتتبنى عقائد شركية ومن أشهر الفرق الصوفية المنتشرة في واقع المسلمين اليوم:

- الفرقة القادرية أتباع عبد القادر الجيلاني.
- الفرقة الرفاعية أتباع أبى العباسي الرفاعي.
- الفرقة الشاذلية أتباع أبى الحسن الشاذلي.
- الفرقة المولودية أتباع جلال الدين الرومي.
- الفرقة النقشبندية أتباع محمد بهاء الدين النقشبندي.
- الفرقة التيجانية أتباع أحمد التيجاني.

- الفرقة الكتانية أتباع أبو الغيص الكتاني.
- الفرقة الختمية أتباع محمد عثمان الميرغني.
- الفرقة الدسوقية أتباع إبراهيم الدسوقي.
- الفرقة البدوية أتباع أحمد البدوي.
- الفرقة الأكبرية أتباع محيي الدين بن عربي.
- الفرقة السنوسية أتباع محمد بن على السنوسي.
- الفرقة البريلوية أتباع أحمد رضا خان.

وهذه هي فرقة التصوف الكبرى أما فرق التصوف الصغرى فلا يتسع المجال لذكرها لكثرتها وتحتوي الساحة المصرية على عدد كبير منها احتوته هيئة حكومية تحمل اسم المجلس الصوفي الأعلى الذي يضم الفرق الصوفية المعترف بها رسمياً ويصدر مجلة شهرية تحت اسم: التصوف الإسلامي[٥٠].

ـ عقائد المتصوفة:

انتشرت بين المتصوفة من أهل السنة أفكار فلسفية غريبة على الاسلام. ففي كتب أهل السنة أقاويل شتى: يتكلم الشعراني عن الولاية أنها " مواهب مخصوصة للأوتاد والأبدال والأئمة من أصحاب الدوائر والأعداد وأصحاب النوب والأفراد " ثم يقول " وقد اجتمعت هذه المراتب كلها في خاتم الولاية المحمدية وهو المهدى أخو عيسى عليه السلام، في الختمية، لقوله في حقه يقفو أثرى ولا يخطئ. كما جمع له مرتبة الدعوة إلى الله تعالى بالسيف وإقامة الحجة وهذه هي مرتبة العصمة التي لا يتصف بها إلا نبي أو خليفة الله تعالى... ثم اعلم أن العلوم الحاصلة عن طريق الكسب والوهب من علوم التوحيد يجب سترها عن الناس لما فيها من الغرابة والتبري من المعقول والمنقول. وقد اقتفت الكمل من الأولياء هذه الآثار عن الصحابة والتابعين شفقة على

ضعفة الناس الجاهلين بهذه الطريقة اتباعا لقوله صلى الله عليه وآله "حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ".

ومن الآخذين بسبيل التصوف قائلون بعلم الباطن وما فيه. وفي قواميسهم شطحات ومقولات كثيرا ما تتجه اتجاهات غريبة عن الإسلام كمقولات " وحدة الوجود، والفناء، والمحو والحلول " وما قول الحلاج من أقوالهم ببعيد (أنا الحق وما في جبيبي إلا الحق)!!!

ومن هذه الأفكار فكرة تطهير الروح بالارتياض والخلاص من مطالب الجسد. يصل بها الإشراقيون إلى القول بأن الرياضة الروحية وتهذيب النفس هما الوسيلة الوحيدة للمعرفة، أما الغلاة فيعذبون الجسد تعذيب البراهمة والبوذيين الهنود وآخرون يأخذون من الهنود فكرة الوحدة الثابتة الجامعة لكل ما في الوجود فالكل واحد والحلاج (٣٠٩) ومن ذهب مذاهبه يقولون بالحلول الإلهي في بعض المخلوقين.

ومن المسلمين من أصبحت (الوحدة) أنشودة على لسانه مثل محى الدين بن عربي. ومنهم من وصل الذات الإنسانية الفانية بذات الله الخالدة، وصلا سبيله المحبة التي تبلغ درجة السكر والغيبوبة عن الحس، مثل ابن الفارض (٦٣٨) وابن عطاء السكندري. وعند بعضهم كلام جيد يفهمه البعض فهما ضارا - وقد ترتب على هذه الأفكار نشوء أفكار أخرى، كالإيمان بالخوارق!!! وكرامات الأولياء!! وأصبح الولي عند البعض مكشوفا عنه الحجاب ما دام يفتى في ذات الله ويخرج عن المألوف!!.[٥١].

ـ العرفان والتصوّف

يمثّل العرفان - في ضوء ما تقدّم - نظاماً معرفيّاً متكاملاً، ينطوي على جانبين أساسيّين: عملي ونظري، وهكذا التصوّف "الحقيقي " فإنّه ينطوي على هذين الاتّجاهين.

فالتصوف في الجانب العملي هو التجربة الحقيقيّة للعارف، يمارسها عن طريق ترويض النفس، وتنقية القلب وصقله بواسطة المجاهدات الروحيّة، وبهذا يحصل على التقوى والزهد، وعدم الاعتناء بالدُّنيا وغيرها من الدرجات التي يصل إليها الصوفي.

وعلى أساس التحقيقات التي أجريت حول هذا الموضوع فإنّ التصوّف يهتمّ بالبُعد العملي والسلوكي، ففي كلّ التعاريف السابقة لم تكن هناك إشارة إلى أنّ التصوّف يهتمّ بالبُعد الاجتماعي والشكليّات بل كلّها كانت تدلّ على أنّ التصوّف هو علم سير وسلوك. إنّ التصوّف يعلّم السالك البدء من اليقظة أو التوبة ويستخدم عصا الرياضة ويمضي خطوة

بعد خطوة حتّى يصل إلى مرتبة التوحيد. وأفضل شاهد على هذا الكلام هو ما قاله الصوفيّون صراحةً أنّ: التصوّف ليس علماً وتقاليد بل هو أخلاق.

وأمّا التصوف الجانب النظري فهو يشابه إلى جانب كبير منه العرفان النظري. هذا التشابه جعل الكثيرين لا يميّزون بين العرفان والتصوّف إلى حدٍّ جعلوهما أمراً واحداً.

والحقّ أنّه يوجد فرق من ناحية المعنى لهذين المصطلحين اللّذين يأتيان بشكل مترادف. فالتصوّف منهج وطريقة زاهدة، مبتنية على أساس الشرع وتزكية النفس، والإعراض عن الدُّنيا من أجل الوصول إلى الحقّ تبارك وتعالى والسير باتّجاه الكمال.

أمّا العرفان فهو مذهب فكري، وفلسفي، متعال وعميق، يسعى إلى معرفة الحقّ تبارك وتعالى، ومعرفة حقائق الأمور، وأسرار العلوم، وليس طريقه هو منهج الفلاسفة والحكماء؛ بل هو منهج الإشراق والكشف والشهود(٥٢).

وبهذا التمييز بين المفهومين يمكن إزالة بعض الالتباسات والإشكالات التي وقع فيها البعض لجهة اعتبار بعض الأمور العمليّة التي يقوم بها أهل الصوفيّة من البِدع والانحرافات التي لا أساس لها في الدِّين الإسلامي، واعتبارها خارجة عن الشريعة، وهذا ما كان سبباً ودافعاً رئيسيّاً لإلحاق الهجوم على التصوّف بالهجوم على العرفان على حدٍّ سواء، فوجدت في التاريخ جماعات مناهضة للعرفان ومتحاملة عليه، بل اتّجهت إلى تسفيه العرفان وأهله مستندةً في ذلك إلى الطرق والأعمال الصوفيّة المناقضة في كثير من الأحيان لتعاليم الإسلام.

وفي تحليله لما ورد على لسان ابن سينا وغيره في صفات العارف اعتبر البعض أنّ العارف أعلى مقاماً ومرتبةً من الصوفيّ، فكلّ عارف هو صوفي، وليس كلّ صوفي عارف. فعرفاء مثل مولوي وحافظ يرون أنّ الصوفي مبتدئ، وقاصر النظر، ويهتمّ فقط بظواهر التصوّف، مثل اللّباس، والخرقة، وما يماثلها، ويعتبرونه بسيط الفكر ومتعصّباً، وقاصر النظر. أمّا العارف فهو عالمٌ بصير، باطنه ملؤه الصفاء، وقلبه ملؤه الإشراق، فقد أشرقت وتلألأت روحه بنور الحكمة الإلهيّة(٥٣).

فالتصوّف أخذ جنبة اجتماعيّة في التاريخ الإسلامي، والمراد من الجنبة الاجتماعيّة أنّ

هناك سلوكاً معيّناً يرتبط بالآداب، وبنوع اللباس، ونوع المأكل، ويرتبط بالعزلة و... وهذه كلّها جوانب مرتبطة بحياة اجتماعيّة معيّنة لطبقة أخذت مساراً اجتماعيّاً معيّناً. فعندما ننظر إلى طبقات المتصوّفين في التاريخ الإسلامي نجد أنّها كانت تشكّل طبقات اجتماعيّة لها سلوكها الخاصّ في الحياة الاجتماعيّة، ولكنّها لا تستبطن أيّة نظرية أو رؤية فكريّة بل هي فارغة من المحتوى النظري، وتمثّل فقط سلوكاً عمليّاً معيّناً في الحياة الاجتماعيّة كما ذكرنا في المأكل والمشرب والملبس، ومن حيث العلاقات مع الآخرين.

- وللتوضيح اكثر نقول أن الفارق بين العرفان والتصوّف هو:-

- الأوّل: أنّ العرفان نظريّة وسلوك، والتصوّف ظاهرة اجتماعيّة لا تستبطن التنظير أو الرؤية.

لذا فإنّ صدر الدّين الشيرازي عندما يذكر في كلماته هذه الفئة من المتصوّفين أي تلك الطبقة الفارغة من البُعد الفكري ومن البُعد النظري ومن البُعد الذي يرتبط بالرؤية الكونيّة يعبّر عنهم بجهلة المتصوّفة(٥٤).

فالتصوّف كاصطلاح له هذا المعنى المتقدّم، ولكنّ العرفان أيضاً يستعمل في كلمات جملة من العرفاء مرادفاً للتصوّف، فإذا وجدنا في بعض كلمات العرفاء مدحاً للتصوّف ينبغي أن لا يتبادر الذهن إلى التصوّف كطبقة اجتماعيّة فارغة من البُعد النظري.

وأشار الشهيد مطهّري إلى هذا المائز والفارق بين العرفان والتصوّف فقال: ((يختلف العرفاء عن سائر طبقات المفكّرين الإسلاميّين أو أصحاب المعرفة الإسلاميّة من قبيل المفسّرين والفقهاء والمحدّثين والمتكلّمين والفلاسفة والأدباء والشعراء و... اختلافاً كبيراً، فالعرفاء علاوةً على أنّهم طبقة معرفيّة أوجدت علماً سمّي بالعرفان، وأنجبت من بين ظهرانيها علماءً كباراً ألّفوا كتباً مهمّة، فهم أيضاً قد أوجدوا فرقة اجتماعيّة في العالم الإسلامي لها خصوصيّات انفردت بها، وعلى خلاف سائر طبقات أهل المعرفة من قبيل الفقهاء والحكماء وغيرهم، فهم طبقة معرفيّة صرفة، بل طبقة يمكن اعتبارها متميّزة عن الفرق الأخرى))(٥٥).

وفقاً للكلام المتقدّم فإنّ التصوّف كظاهرة اجتماعيّة ولِدت في أحضان العرفان، وهذا

لا يعني الاتّحاد والتوافق بينهما، بل قد يختلفان في الكثير من المسائل.

واعتبر بعض الباحثين أنّ هذه الرؤية التي ذكرها مطهّري في الفرق بين العرفان والتصوّف قابلة للنقد لأنّه في البداية وعلى هذا الأساس يجب أن يكون هناك عدم تلازم تاريخي بين ظهور هاتين الظاهرتين، إلاّ أنّ كلّ الشواهد في التاريخ الإسلامي حول هذه القضيّة تؤكّد أنّ الأمور الاجتماعيّة للتصوّف والعرفان ظهرتا في الحقب الثانية والثالثة والرابعة، وهذه الفرقة كانت تعمل بهدوء على تنظيم وترتيب مواضيعها وذلك بسبب الاحتياجات والمشاكل العديدة التي كانت تواجهها. وعلى أساس وجهة النظر التاريخية فإنّ البُعدين الثقافي والفكري ظهرا بعد تكوين البُعد الاجتماعي. لكن هذا كان في حين لم تستخدم مفردتي العرفان والعارف على هذا المنوال.

أذن فالتصوّف بدأ كظاهرة اجتماعيّة لا كعلم في السير والسلوك. ويعني ارتداء الألبسة الخشنة الصوفيّة ولأنّ الصوف هو الرداء الذي كان يرتديه هؤلاء واللباس هو من التقاليد الاجتماعيّة، إذن فالمتصوّفة كانت تهتمّ بالبُعد الاجتماعي وهذه الطبقة قد ذمها رسول الله واهل البيت عليهم السلام في كثير من الروايات كما سوف يأتي.

الفارق الثاني:- هو أنّ النسبة بين العرفان والتصوّف هي العموم والخصوص المطلق إذ إنّه - وكما ذكرنا في مقدّمة هذا الموضوع - ورد في بعض كلمات ابن سينا الذي مالَ إلى العرفان وأفرد له فصلاً من ((الإشارات)) - وهو آخر مؤلّفاته كما يبدو - وسمّاه بـ ((مقامات العارفين)) أنّ الزهد (أي التصوّف) عبارة عن الإعراض عن شهوات الدُّنيا، وأمّا العارف فهو المنصرف بفكره إلى قدس الجبروت مستديماً لشروق نور الحقّ في سرّه.

فالعرفان إذن هو عبارة عن صرف الذهن عمّا سوى الله والتوجّه الكامل لذات الحقّ والتعرّض لنوره.

فكلّ عارف زاهد (متصوّف)، ولكن ليس من الضروري أن يكون كلّ زاهد (متصوّف) عارفاً[٥٦].

ـ أهل البيت عليهم السلام وذم التصوف والمتصوفين.

إن مذهب أهل البيت عليهم السلام براء من الصوفية كما ورد ذلك في روايات عديدة[٥٧]. إلاّ

أنّ الأقوام الصوفية بطوائفها وشعبها وأقطابها - سواء السنّة أو الشيعة - تحاول أن ترتبط مرامها وطريقتها بأهل البيت عليهم السلام لطهارتهم ونزاهتهم - كلّ يدّعي الوصل بليلى ولكن ليلى لا تقرّ بذاكا - فالطرق السنّية والشيعية في التصوّف ينسبوها إلى الإمام الرضا عليه السلام من طريق المعروف الكرخي وأبي الصلت الهروي - ثمّ الإمام الرضا أخذ طريقته من أبيه - وهكذا إلى أن تنتهي الطرق كلّها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فهو قطب الأقطاب بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسنورد بعض الروايات الواردة عن اهل البيت في ذم التصوف:-

- عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم وشتائهم، يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم، أولئك يلعنهم ملائكة السماوات والأرض)(٥٨).

- عنه صلى الله عليه وآله: (يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون حلقا، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة)(٥٩).

- عنه صلى الله عليه وآله: (سيكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد حلقا حلقا إمامهم الدنيا فلا تجالسوهم)(٦٠).

- سفينة البحار، عن البزنطي وإسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام قال: "من ذكر عنده الصوفية ولم ينكرهم بلسانه وقلبه فليس منّا، ومن أنكرهم فكأنّما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله"(٦١).

- عن السيد المرتضى بسنده عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال لأبي هاشم الجعفري: "يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة، وقلوبهم منكدرة، السنّة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنّة، المؤمن بينهم محقّر، والفاسق بينهم موقّر، أمراؤهم جائرون، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء، وأصاغرهم يتقدّمون على الكبراء، كلّ جاهل عندهم خبير، وكلّ محيل عندهم فقير، لا يميّزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الظأن من الذئاب، علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض، لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف.

وأيم الله، إنّهم من أهل العدوان والتحرّف، يبالغون في حبّ مخالفينا، ويضلّون شيعتنا وموالينا، فإن نالوا منصبا لم يشبعوا عن الرشا، وإن خذلوا عبدوا الله على الريا، ألا أنهم

قطّاع طريق المؤمنين (الدين خ ل) والدعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم، وليصن دينه وإيمانه، ثم قال: يا أبا هاشم هذا ما حدّثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد عليه السلام وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله "[٦٢].

- وفيه أيضا عنه (أي السيد المرتضى) بسنده عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال: كنت مع الهادي علي بن محمد عليه السلام في مسجد النبيّ، فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري رضي الله عنه وكان رجلا بليغا، وكانت له منزلة عظيمة عنده عليه السلام ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية، وجلسوا في جانب مستدير وأخذوا بالتهليل، فقال عليه السلام: لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخدّاعين فإنّهم حلفاء الشياطين، ومخربوا قواعد الدين، يتزهدون لراحة الأجسام، ويتهجدون لتصييد الإنعام، يتجوّعون عمرا حتى يدّيخوا[٦٣] للإيكاف حمرا، لا يهلّلون إلا لغرور الناس ولا يقلّلون الغذاء إلا لملإ العساس[٦٤] واختلاس قلب الدفناس[٦٥] يتكلّمون الناس بإملائهم في الحب، ويطرحونهم بأداليلهم (بإدلائهم)في الجبّ أورادهم الرقص والتصدية، وأذكارهم الترنّم والتغنية، فلا يتبعهم إلا السفهاء ولا يعتقد بهم إلا الحمقاء.

فمن ذهب إلى زيارة أحد منهم حيّا أو ميتا فكأنما ذهب إلى زيارة الشيطان وعبدة الأوثان، ومن أعان أحدا منهم فكأنما أعان يزيد ومعوية وأبا سفيان، فقال له رجل من أصحابه: وإن كان معترفا بحقوقكم؟ قال: فنظر إليه شبه المغضب وقال: دع ذا عنك، من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا، أما تدري أنّهم أخسّ طوائف الصوفية، والصوفية كلّهم من مخالفينا، وطريقتهم مغايرة لطريقتنا، وإن هم إلا نصارى ومجوس هذه الأمّة، أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله، والله متم نوره ولو كره الكافرون[٦٦].

- وعن الرضا عليه السلام قال: (لا يقول بالتصوف أحد إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة، وأما من سمّى نفسه صوفيّا للتقية فلا إثم عليه)[٦٧].

- وفيه أيضاً نقل عن كشكول شيخنا البهائي رحمه الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: (لا يقوم الساعة على أمتي حتى يقوم قوم من أمتي اسمهم الصوفية ليسوا منّي، وأنهم يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم، يظنون أنهم على طريقتي بل هم أضل من الكفار (وهم أهل النار) لهم شهيق كشهيق الحمار، وقولهم كقول الفجار، وعملهم عمل الجهال وهم ينازعون العلماء، ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم، ليس لهم من عملهم إلا التعب)[٦٨].

- وفي المحكي عن كتاب الكافي بإسناده عن سدير قال: قال الباقر عليه السلام:- يا سدير أفأريك الصّادين عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين؟ هؤلاء الأخابث، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري في ذلك الزمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصادّون عن دين الله بلا هدى من الله، ولا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم، فجال الناس فلم يجدوا أحدا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يأتونا نخبرهم عن الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله[٦٩].

أقول: هذه بعض من الأخبار في هذا الباب وهناك أخبار أخر أغنانا عنها ما ذكرناه، إذا علمت هذا فاعلم: أنّ لفظ الصوفي والتصوف بما هو لفظ مع قطع النظر عمّا يراد منه لا يكون محكوما بشيء من المدح أو الذم، ضرورة أنّ الألفاظ قوالب للمعاني، ولها عنوان الحكاية عمّا استعملت فيه، فإذا لا بدّ من تحقيق المعنى الذي استعمل فيه لفظ الصوفي في لسان أهل البيت عليهم السلام ليميز عن غيره معنى لا لفظا.

ضرورة أنه لو يسمى شخص تقية بالصوفي فهذا لا يكاد يتوجه إليه ذمّ، لعدم اتّصافه بمعناه كما دلّ عليه ما روي عن الرضا عليه السلام من قوله: " وأمّا من سمّى نفسه صوفيا للتقية فلا إثم عليه "[٧٠].

- وفي رواية أخرى عنه عليه السلام بزيادة قوله:" وعلامته أن يكتفي بالتسمية ولا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة "[٧١].

فهذا الخبر صريح بأنّ الصوفي الملعون هو الذي اتّصف روحا بتلك العقائد الباطلة دون التسمية فقط، فالعبرة إذا بالاتصاف بتلك العقائد فقط.

ـ الشيعة والتصوف.

التصوّف كطريقة للتعبّد والتقرّب إلى الله تعالى انطلق في الأساس ومن جذوره الأولى من الإسلام، وظهر بين المسلمين مع بزوغ فجر الإسلام، واتّضحت معالمه في أوائل عهد بني العبّاس بظهور رجال من الصوفيّة كأبي يزيد والجنيد والشبلي وغيرهم.

ويوضح السيّد الطباطبائي طريقة هؤلاء وانتسابهم إلى الإسلام الصحيح بالقول: ((ويرى القوم أنّ السبيل إلى حقيقة الكمال الإنساني والحصول على حقائق المعارف هو

الورود في الطريقة، وهي نحو ارتياض بالشريعة للحصول على الحقيقة، وينتسب المعظم منهم من الخاصّة والعامّة (الشيعة والسنّة) إلى عليّ عليه السلام))[٧٢].

وهذه الطريقة والمنهج الذي سلكه الصوفيّون بهذا المنحى الذي ذكره الطباطبائي لا غبار عليه ولا إشكال، وإنّما الكلام في المؤثّرات التي دخلت على المنهج الصوفي لتعطيه اتّجاهات أخرى لم يسلم بها من يد التحريف والضلال حتّى بات يلتقي مع صوفيّة اليونان والهند وبلاد فارس.

وهذه المؤثّرات تجلّت عندما أصبح القوم يدّعون أموراً من الكرامات، ويتكلّمون بأمور تناقض ظواهر الدِّين وحكم العقل مدّعين أنّ لها معاني صحيحة لا ينالها فهم أهل الظاهر - وبذلك - ثقل على الفقهاء وعامّة المسلمين سماعها فأنكروا ذلك عليهم وقابلوهم بالتبرّي والتكفير، فربما أُخذوا بالحبس أو الجلد أو القتل أو الصلب أو الطرد أو النفي كلّ ذلك لخلاعتهم واسترسالهم في أقوال يسمّونها أسرار الشريعة، ولو كان الأمر على ما يدّعون وكانت هي لبّ الحقيقة وكانت الظواهر الدينيّة كالقشر عليها وكان ينبغي إظهارها والجهر بها لكان مشرّع الشرع أحقّ برعاية حالها وإعلان أمرها كما يعلنون، وإن لم تكن هي الحقّ فماذا بعد الحقّ إلاّ الضلال؟[٧٣].

وليس غريباً على المذهب الشيعي الإمامي أن تنسب إليه التّهم والافتراءات كما جرت العادة على مدى التاريخ. فعندما بدأ الانحراف يسري إلى جسم الحركة الصوفيّة جرّاء ابتعادها عن تعاليم الدِّين الحنيف أخذ البعض يشنّ هجوماً على الشيعة وأنّهم أهل البدع لكونهم أساس التصوّف وروّاده وقادته.

والحقّ أنّ الحركة الصوفيّة كانت تضمّ في صفوها كلاً من السنّة والشيعة، إلاّ أنّ العجيب هو نسبة البدع الصوفيّة إلى الشيعة وحدهم دون غيرهم، علماً بأنّ متصوّفة السنّة أكثر بكثير من متصوّفة الشيعة كما نقل الشيخ مغنية في (معالم الفلسفة الاسلامية)عن الخواجة عبد الله الأنصاري الذي قال: ((كان من ألفي شيخ صوفي عرفتهم شيعيّان لا أكثر))، وكذلك ما نقله عن أبي المظفّر الأسفريني قوله: ((التصوّف مذهب من مذاهب السنّة))[٧٤].

وممّا يؤكّد هذه الحقيقة هو انتشار الطرق الصوفيّة في غالبيّة المناطق ذات الوجود الإسلامي السنّي في الوقت الذي شهد فيه الوسط الإسلامي الشيعي نشاطاً بارزاً في محاربة التصوّف وطرقه ورجاله، وتمثّل هذا النشاط بدور الأئمّة عليهم السلام في وقت متقدّم، وبدور أبرز علماء المسلمين الشيعة وفقهائهم في مرحلة لاحقة(٧٥).

وبالطبع فإنّ هذا الموقف الشيعي من التصوّف لا ينفي بروز بعض الفرق الصوفيّة في التاريخ أخذت طابعاً شيعيّاً والتي سرعان ما بادت واندثرت نتيجة للدور البارز الذي قام به فقهاء الشيعة في التصدّي للحركات الصوفيّة في إيران وغيرها من بقاع المسلمين. ولعلّ في ذلك ميزة يتميّز بها تاريخ فقهاء المسلمين الشيعة في التصدّي لكلّ فكر من شأنه أن يوصم الفكر الشيعي بوصمة تثير الشكّ أو تحرّك الظنّ ومنبعه الإسلاميّين(٧٦).

وأمّا التصوّف الذي أخذ طابعاً مزرياً عند بعض الشيعة فلا يمكن تحميله على كافّة الشيعة ((وإذا كنّا نجد من بين فقهائه - الشيعة - من حمل نزعة صوفيّة، فإنّ هذا لا يتجاوز أن يكون اتّجاهاً زهديّاً فرديّاً، لم يُرد له أن ينتهي أو ينتمي إلى مدرسة التصوّف، أو بدور حول فلسفة معيّنة شأن الاتّجاهات الصوفيّة الكاملة. بل ظلّ أبطاله منهم فقهاء في أعماقهم، فقهاء بالمعنى الشيعي))(٧٧).

وقد يكون هذا الخلط في نسبة التصوّف إلى الشيعة ناشئاً من بروز بعض العرفاء الإلهيّين من الشيعة الذين لم يكن لهم أي علاقة بالطرق الصوفيّة وما نالها من تحريف وضلال، فاشتبه الأمر على البعض فنسب هؤلاء العرفاء الشيعة إلى التصوّف ومالوا إلى القول بتحميل الشيعة وزر ما قام به بعض جهلة الصوفيّة. ولذا نرى أنّ الشهيد مطهّري يميّز بين الصوفيّة ما قبل القرن التاسع والصوفيّة ما بعد القرن التاسع؛ ففي المرحلة الأولى (ما قبل القرن التاسع) يقول:- ((كانت الشخصيّات العلميّة والثقافيّة في العرفان منضمّة بأجمعها إلى السلاسل الصوفيّة، وكان أقطاب الصوفيّة من الشخصيات الثقافيّة والعلميّة الكبيرة في العرفان، وتركت مصنّفات عظيمة في هذا الصدد، إلاّ أنّها ما إن تجاوزت القرن التاسع حتّى اتّخذت لنفسها منحىً آخر))، وفي هذا برهان ساطع على ما ذهبنا إليه في مقدّمة هذا البحث من أنّ الصوفيّة كانت في بدء مسارها التاريخي طريقة تتوافق مع الإسلام ومناهجه وتعاليمه، ولكن بعد تلك المرحلة أي ما بعد القرن التاسع، يقول: ((ربما أمكن

القول بأنّ التصوّف منذ ذلك الحين غلب عليه التمسّك بالظواهر ممّا أدّى بطبيعة الحال إلى ظهور بعض البدع أحياناً))[٧٨].

ونظراً لظهور البدع في الطرق الصوفيّة فإنّ العرفاء الذين ظهروا منذ عصر ابن عربي مروراً بصدر الدّين الشيرازي (ت: ١٠٥٠هـ)، وتلميذه الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، وتلميذه القاضي سعيد القمّي (ت: ١١٠٣هـ)، لم ينتسبوا إلى أيّ واحدة من سلاسل التصوّف، واستمرّ الحال إلى أقطاب التصوّف في العصور الأخيرة كالآغا محمد رضا الحكيم القمشئي، والآغا ميرزا هاشم الرشتي الذين لم يُعرف عنهم انتمائهم إلى هذه الطرق والسلاسل الصوفيّة.

والسبب في ذلك كما يقول مطهّري هو أنّ العرفان اتّخذ طابعاً فلسفيّاً وانفصلت عرى هذا الكيان الذي كان يلتقي فيه التصوّف مع العرفان وأصبحنا نجد أكثر المتخصّصين في العرفان النظري في القرن العاشر لم يكونوا من أهل العرفان العملي والسير والسلوك والطريقة، وإذا كانوا من أهله فإنّهم لم ينتسبوا رسميّاً إلى أيّ واحدة من سلاسل الصوفيّة المعروفة[٧٩].

وترصّد بعض الباحثين جذور اتّهام التشيّع بالتصوّف من الناحية التاريخيّة والعَقَديّة فعثر على أربعة آراء اعتبرها سبباً رئيسيّاً في هذا الاتّهام[٨٠].

وهي أقوال نسب أصحابها التصوّف إلى الشيعة وهم أبو نصر السرّاج الطوسي في كتابه (اللمع في التصوّف) وعبد الرحمن بن خلدون في (مقدّمته)، وأحمد أمين في (ضحى الإسلام)، وكامل مصطفى الشّيبي الباحث العراقي في كتابه (الصلة بين التصوّف والتشيّع)، ولن ندخل في عرض هذه الأقوال ومناقشتها وذلك لأنّها لا تستحقّ الردّ من جهة ولأنّها ليست مورد بحثنا. وإنّما ينبغي القول بأنّها نابعة من افتراءات لا صحّة ولا أساس لها، وقد تكون نوعاً من الحقد الذي انطوت عليه قلوب البعض على الشيعة كما هو حال ابن خلدون.

فما ذهب إليه السرّاج الطوسي من وجود علاقة بين الشيعة والتصوّف مصدره الخصوصيّة والقداسة التي أعطاها بعض الصوفيّين للإمام علي عليه السلام وامتلاكه للعلم اللدني، وما روي عنه من معان جليلة وإشارات لطيفة.. وبيان للتوحيد والمعرفة والإيمان والعلم وغير ذلك من خصال شريفة تعلّق بها أهل الحقائق الصوفيّة[٨١].

وأمّا ابن خلدون فليس غريباً عليه الافتراء على الشيعة حيث تحامل على فكرة المهدويّة واعتبرها من الأمور التي ابتدعها الشيعة، وكذلك في مسألة إيمانهم بالإمامة للأئمّة الاثني عشر ممّا دفعه إلى إيجاد الرابطة بين هذا الإيمان بالولاية عند الشيعة والإيمان بالقطب عند الصوفيّة واعتقادهم به[٨٢]، وهي نفسها النافذة التي تسلّل منها أحمد أمين لهذا الاتّهام[٨٣].

أمّا مصطفى الشيبي فإنّه وكما يبدو من كلامه أراد التشنيع على عقائد الشيعة بالعصمة للأئمّة، وتقديس زيارة القبور، وأنّ الصوفيّة أخذوا هذه الظاهرة عنهم فاعتبروا زيارة قبر ((معروف الكرخي)) مزاراً، وقالوا: ((إنّ قبره ترياق مقدّس، فمن كانت له حاجة فليأتِ قبره وليدع، فإنّه يستجاب له إن شاء الله))[٨٤].

وأنت كما ترى أنّ الربط بين التشيّع والتصوّف بالأسباب التي ذكرها هؤلاء الأربعة لا ترقى إلى مستوى الأدلّة والبراهين العلميّة التي تستحقّ النقاش الفكري، وإنّما هي أقوال تخفي وراءها الفرية والخداع والضلال.

ومن الشواهد على عدم الالتقاء بين التشيّع والفكر الصوفي وطرقه التي ابتعدت عن الإسلام الردود التي تناولها علماء الشيعة في كتبهم على الصوفيّة، والمصنّفات المتعدّدة التي تكشف عن العلاقة المأزومة بينهما، ومنها:

١- الردّ على الصوفيّة للمحقّق القمّي.

٢- الردّ على الصوفيّة للمولى أحمد بن محمّد التوني.

٣- الردّ على الصوفيّة للمولى إسماعيل بن محمّد حسين المازندراني المشهور بالخواجة.

٤- الردّ على الصوفيّة للسيّد أعظم علي البنكوري.

٥- الردّ على الصوفيّة مستخرجاً عن كتاب حديقة الشيعة ((للأردبيلي)).

٦- الردّ على الصوفيّة للشيخ علي بن الميرزا فضل الله المازندراني.

٧- الاثنا عشريّة في الردّ على الصوفيّة للحرّ العاملي.

وغيرها الكثير من المؤلّفات لعلماء الشيعة التي ذكرها الحرّ العاملي، فراجع[٨٥].

ونختم بالقول إنّ ما يحكى عن عرفاء الشيعة وزهّادهم وممارستهم للسير والسلوك لا علاقة

له على الإطلاق بالصوفيّة وطرقها والبدع التي دخلت عليها حسب ما يقوله مطهّري ((نشاهد في القرن العاشر فما بعد أشخاصاً وجماعات في عالم التشيّع مارسوا السير والسلوك وبلغوا شأواً عالياً في العرفان دون أن ينتسبوا إلى أيّ مجموعة من السلاسل العرفانيّة والصوفيّة، بل ربما لم يحفلوا بها وعارضوها وأبطلوها جملةً أو تفصيلاً، ومن خصائص هذه الجماعة - التي هي من أهل الفقاهة أيضاً - أنّها لاءمت ووافقت بين آداب السلوك وآداب الفقه، ولهذه الجماعة تاريخ لا يسعنا ذكره))[٨٦].

ـ الرهبانية والتصوف:

قال بعض المستشرقين: ان الرهبانية المسيحية أحد منابع التصوف الاسلامي وتبعه على ذلك جماعة من المصريين، منهم الدكتور زكي مبارك، قال في الجزء الثاني من كتاب التصوف الاسلامي: "ان المسلمين كانوا يرون المسيح قدوة في الشؤون الروحية، فإنهم عرفوا الإنجيل منذ زمن بعيد، وقد ترجموه ترجمة فصيحة جدا، ومن تلك الترجمة الفصيحة شواهد كثيرة في كتب الأدب والتصوف، كالذي نراه في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، وكتاب الاحياء للغزالي، والتشابه كبير جدا بين مذاهب النصارى ومذاهب الصوفية في التعبد، فالنصراني المتبتل يدخل الكنيسة وفي جيبه كتاب يشتمل على طوائف من الأدعية والصلوات، والصوفي المخلص يدخل المسجد، وفي يده كتاب يشتمل على طوائف الاستغاثات والأحزاب والأوراد"[٨٧].

ونحن لا ننكر الرهبانية المسيحية، كيف، وقد نص عليها القرآن الكريم في الآية ٢٨ من سورة الحديد: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾، كما أثنت الآية ٨٦ من سورة البقرة على الرهبان والقسيسين: ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

ولكن نتساءل: هل الرهبانية هي التصوف؟ وهل القسيسين والرهبان من المتصوفة حقا أو انهم رجال دين يعيشون معيشة خاصة، ويتزيون بزي خاص، يعبدون الله ويقومون بمهمة الدفاع عن العقيدة، وتعليمها للناس بالوعظ والارشاد؟

أما نحن فنميل إلى الرهبانية غير التصوف، وان رجال الدين شيء، والمتصوفة شيء

آخر، بخاصة التصوف النظري هو أحد أسباب المعرفة، ومهما يكن، فلا يمكن الباحث المنصف ان يرجع التصوف بمعناه المتشعب إلى أصل واحد محدود.

أجل، يمكن ان نرجع إلى المسيحية الحب الإلهي عند المتصوفة المسلمين، على أن القرآن الكريم قد صرح به في أكثر من آية، ولكنه أراد الحب بمعنى الطاعة والانقياد لله والجهاد في سبيله، لا بمعنى الوجد والشوق.

ـ المستشرقون والتصوف

كان المستشرقون، وما زالوا الرائد الناصح للاستعمار - الا قليلا منهم - ولم تكن بحوثهم في الاسلام وتاريخ العرب والمسلمين وتراثهم الا للتحريف والتزييف، والا للدس واحداث الثغرات في الصفوف، وما تكلموا عن شيء يتصل بالإسلام والمسلمين الا بهذا القصد، أما العلم والتماس الحقيقة الذي تذرعوا به فكذب وخداع واحتيال، ولنذكر أمثلة من آراء بعضهم في التصوف الاسلامي، كشاهد على العداء والكيد للإسلام وبني الاسلام.

قال المستشرق نيكلسون في كتاب - الصوفية في الاسلام-" المتصوفون قد أدوا دون ريب عملا جليلا للإسلام، فهم بنبذهم قشور الدين، واصرارهم على تحصيل لبابه بتنمية المشاعر الروحية، وتطهير البواطن، لا بالعمل الظاهري قد مكنوا ملايين الناس من حياة غنية عميقة "(٨٨).

والقشور في نظر هذا المستشرق هي الصلاة، وبناء المساجد، والتفرقة بين الكفر والاسلام، قال في ص ٨٨: " والصوفي الكبير أبو سعيد بن أبي الخير حين يتحدث بلسان القلندرية يعبر عن قواعدهم في تحطيم هذه الأوثان في شجاعة تأخذ بالألباب حين يقول: لن نؤدي ما فرض علينا من واجب مقدس ما لم نذر كل مسجد تشرق عليه الشمس حطاما، ولن يظهر المسلم حق المسلم ما لم يصر عنده الايمان والكفر واحدا "(٨٩).

لقد روج نيكلسون لهذه الفكرة، ونعتها بالشجاعة لا لشيء الا لأنها جرأة على الله والرسول، ان معنى هدم المساجد ومساواة الكفر والاسلام انكار صريح للقرآن، والسنة النبوية، والشريعة الاسلامية، وهذي هي أمنيته وأمنية أمثاله من المستشرقين..

وقال:-: " القارئون للقرآن من الأوروبيين لا تعوزهم الدهشة من اضطرب مؤلفه،

وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات، وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات"[٩٠]. فالقرآن بزعمه ألفه محمد صلى الله عليه وسلم، وهو مضطرب يناقض بعضه بعضا، ولم يدرك محمد نفسه هذا التضارب والتناقض.

هذا هو الاستشراق عند أكثر المستشرقين دس وتشويه وتهجم على الاسلام ومقدساته.. قال طه عبد الباقي سرور:- " لبعض المستشرقين غرام خاص بالشك، ولبعضهم ولع ملح بالتجريح الخفي للتراث الاسلامي، والثقافة المحمدية، فجاءت دراستهم للتصوف الاسلامي مبطوعة بطابع الشك، موسومة بالتجريح، مرقومة بالهوى.. وكان أقرب رجال الاستشراق إلى الانصاف هو المستشرق العالم نيكلسون"[٩١] وإذا كان نيكلسون الذي نقلنا طرفا من أقواله هو أقرب المستشرقين إلى الانصاف فكيف بغيره؟!.

وبالتالي، فعلينا نحن المسلمين، وعلى كل باحث ينشد الحقيقة ان يربط بين أقوال هؤلاء المستشرقين، وبين الاستعمار، وينظر إليها كوسيلة من وسائله، وأداة من أدواته علينا أن ننظر إلى ما يكتبون وينشرون بيقظة وحذر، ولا نخدع بشئ مما يضفونه على بحوثهم من ألوان التحقيق والتدقيق، فإنها ستار للدسائس والمؤامرات.

المبحث الثاني

موقف الإمام الصادق عليه السلام من التصوف والمتصوفة

بين الامام الصادق عليه السلام في كثير من المواطن موقفه من المتصوفة ومن يدعي التصوف وقد نقلت المصادر الكثير من هذه المواقف وسنذكر بعضها بما يتطلبه المقام:-

- عن البزنطي أنّه قال: قال رجل من أصحابنا للصادق جعفر بن محمد عليه السلام:قد ظهر في هذا الزمان قوم يقال لهم

الصوفية فما تقول فيهم؟ قال: " إنّهم أعداؤنا، فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم، وسيكون أقوام يدّعون حبّنا، ويميلون إليهم، ويتشبهون بهم، ويلقّبون أنفسهم بلقبهم، ويؤولون أقوالهم، ألا فمن مال إليهم فليس منّا وإنا منه براء، ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله"[٩٢].

- عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أنّه قال: سئل أبو عبد الله (جعفر الصادق عليه السلام)

عن حال أبي هاشم الكوفي فقال عليه السلام: " إنه كان فاسد العقيدة جدّا، وهو الذي ابتدع مذهبا يقال له التصوف، وجعله مفرا لعقيدته الخبيثة "

- ورواه بسند آخر عنه عليه السلام: " وجعله مفرّا لنفسه الخبيثة وأكثر الملاحدة، وجنّة لعقائدهم الباطلة "[٩٣].

- مسعدة بن صدقة: دخل سفيان الثوري[٩٤] على أبي عبد الله عليه السلام فرأى عليه ثياب بيض كأنها غرقئ البيض، فقال له: إن هذا اللباس ليس من لباسك، فقال له: اسمع مني وع ما أقول لك فإنه خير لك عاجلا وآجلا، إن أنت مت على السنة والحق ولم تمت على بدعة[٩٥].

احتجاج الامام الصادق عليه السلام على المتصوفة:

- عن علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة ابن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام- في حديث طويل أنه قال في احتجاجه على جماعة من الصوفية: - أخبروني لو كان الناس كلهم كالذين تريدون زهادا لا حاجة لهم في متاع غيرهم فعلى من كان يتصدق بكفارات الايمان والنذور والتصدقات من فرض الزكاة من الذهب والفضة، والتمر الزبيب، وسائر ما وجب فيه الزكاة من الإبل والبقر والغنم، وغير ذلك؟!.

- **فيما ينهون عنه من طلب الرزق:**- روى الحسن بن علي بن شعبة الحلبي في تحف العقول خبر دخول سفيان الثوري على الصادق عليه السلام الذي مر في فصل صفته ولباسه، عليه السلام، وقال: ثم أتاه قوم ممن يظهرون التزهد، ويدعون الناس أن يكونوا معهم على مثل الذي هم عليه من التقشف، فقالوا: إن صاحبنا حصر عن كلامك ولم تحضره حجة. فقال لهم: هاتوا حججكم فقالوا: إن حجتنا من كتاب الله قال لهم: فأدلوا بها فإنها أحق ما اتبع وعمل به قالوا: يقول الله تبارك وتعالى يخبر عن قوم من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله: " ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " فمدح فعلهم وقال في موضع آخر: " ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا " فنحن نكتفي بهذا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أخبروني أيها النفر، ألكم علم بناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه الذي في مثله ضل من ضل، وهلك من هلك من هذه الأمة؟

فقالوا: نعلم بعضه، فأما كله فلا.

فقال لهم عليه السلام: من ها هنا أتيتم. وكذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، أما ما ذكرتم من أخبار الله إيانا في كتابه عن القوم الذي أخبر عنهم بحسن فعالهم، فقد كان مباحا جائزا ولم يكونوا نهوا عنه وثوابهم منه على الله، وذلك أن الله جل وتقدس أمر بخلاف ما عملوا به، فصار أمره ناسخا لفعلهم، وكان نهيه تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين ونظرا لكي لا يضروا بأنفسهم، وعيالهم منهم الضعفة الصغار والولدان والشيخ الفاني والعجوز الكبيرة الذين لا يصبرون على الجوع، فإن تصدقت برغيفي ولا رغيف لي غيره ضاعوا وهلكوا جوعا، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس تمرات أو خمس أقراص أو دنانير أو دراهم يملكها الإنسان، وهو يريد أن يمضيها، فأفضلها ما أنفقه الإنسان على والديه، ثم الثانية على نفسه وعياله، ثم الثالثة على القرابة وإخوانه المؤمنين، ثم الرابعة على جيرانه الفقراء، ثم الخامسة في سبيل الله، وهو أخسها أجرا. وقال النبي صلى الله عليه وآله، للأنصاري حيث أعتق عند موته خمسة أو ستة من الرقيق، ولم يكن يملك غيرهم وله أولاد صغار: لو أعلمتموني أمره ما تركتكم تدفنونه مع المسلمين، ترك صبية صغارا يتكففون الناس. ثم قال: حدثني أبي أن النبي صلى الله عليه وآله، قال: إبدأ بمن تعول، الأدنى فالأدنى. ثم هذا ما نطق به الكتاب ردا لقولكم ونهيا عنه، مفروضا من الله العزيز الحكيم قال: " الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما " أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى أراد غير ما أراكم تدعون إليه؟ والمسرفون مذكورون في غير آية من كتاب الله، يقول: " إنه لا يحب المسرفين " فنهاهم عن الاسراف ونهاهم عن التقتير، لكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له، للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: أن أصنافا من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بمال ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله تخلية سبيلها بيده، ورجع يقعد في البيت ويقول يا رب ارزقني ولا يخرج في طلب الرزق، فيقول الله جل وعز: عبدي أو لم أجعل لك السبيل إلى الطلب والضرب في الأرض بجوارح صحيحة، فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري، ولكيلا تكون كلا على أهلك، فإن شئت رزقتك، وإن شئت قترت عليك، وأنت معذور عندي؟ ورجل رزقه الله مالا كثيرا فأنفقه ثم أقبل يدعو: يا رب أرزقني ! فيقول الله: ألم أرزقك رزقا واسعا أفلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف وقد نهيتك؟ ورجل يدعو في قطيعة رحم. ثم علم الله نبيه كيف ينفق، وذلك أنه كان عنده أوقية من ذهب، فكره أن

تبيت عنده فتصدق بها وأصبح ليس عنده شئ، وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه، فلامه السائل واغتم هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه، وكان رحيما رقيقا فأدب له نبيه بأمره إياه فقال: " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا " يقول: إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك، فإذا أعطيت جميع ما عندك كنت قد خسرت من المال.

فهذه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله يصدقها الكتاب..... أخبروني لو كان الناس كلهم كما تريدون زهادا لا حاجة لهم في متاع غيرهم، فعلى من كان يتصدق بكفارات الأيمان والنذور والصدقات من فرض الزكاة؟ إذا كان الأمر على ما تقولون لا ينبغي لأحد أن يحبس شيئا من عرض الدنيا إلا قدمه وإن كان به خصاصة. فبئس ما ذهبتم إليه، وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله وسنة نبيه وأحاديثه التي يصدقها الكتاب المنزل ! أو ردكم إياها بجهالتكم وترككم النظر في غرائب القرآن من التفسير بالناسخ من المنسوخ، والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي. وأخبروني، أنتم أعلم أم سليمان بن داود عليهما السلام حيث سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده: فأعطاه الله ذلك، وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد الله عاب ذلك عليه ولا أحدا من المؤمنين، وداود قبله في ملكه وشدة سلطانه. ثم يوسف النبي حيث قال لملك مصر: اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ! فكان من أمره الذي كان واختار مملكة الملك وما حولها إلى اليمن، فكانوا يمتارون الطعام من عنده لمجاعة أصابتهم، وكان يقول الحق ويعمل به، ثم لم نجد أحدا عاب ذلك عليه، ثم ذو القرنين، عبدا أحب الله فأحبه، طوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها، وكان يقول بالحق ويعمل به ثم لم نجد أحدا عاب ذلك عليه، فتأدبوا أيها النفر بآداب الله للمؤمنين، واقتصروا على أمر الله ونهيه، ودعوا عنكم ما اشتبه عليكم مما لا علم لكم به، وردوا العلم إلى أهله تؤجروا وتعذروا عند الله، وكونوا في طلب علم الناسخ من القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وما أحل الله فيه مما حرم، فإنه أقرب لكم من الجهل. ودعوا الجهالة لأهلها فإن أهل الجهل كثير وأهل العلم قليل. وقد قال الله عز وجل: " وفوق كل ذي علم عليم."(٩٦).

مدرسة الإمام الصادق عليه السلام العرفانية:ـ

إنّ علم المعرفة باصطلاح اليوم عبارة عن (إيديولوجي - أي علم العقيدة -) والرؤية الكونية، وأهمّ مباحث علم المعرفة هو معرفة الوجود ومعرفة الإنسان ومعرفة السبيل، وهذه الثلاثة عبارة عن أُصول الدين.

وأمّا الرؤية الكونية فطرقها على ما ذكر تكون خمسة:

١ - النظرة الكونية العلمية.

٢ - النظرة الكونية الفلسفية.

٣ - النظرة الكونية العرفانية.

٤ - النظرة الكونية الفنّية.

٥ - النظرة الكونية الدينية الجامعة لكلّ هذه النظرات.

فالمعرفة التامّة والعرفان الصحيح هو الذي يجمع هذه الأُصول والنظرات، والعقيدة السليمة والدين الخالص ما كانت المعرفة صحيحة وتامة في إيديولوجيتها ونظراتها الكونية الخمسة.

ومدرسة أهل البيت عليهم السلام لاسيّما مدرسة الصادق عليه السلام قد أغنت البشرية في هذه المجالات والحقول الأربعة وغيرها ممّا تسعدها وتسوقها إلى قمم الكمال والسعادة والجلال وتقودها إلى ساحل السلام والهناء والحياة المجيدة، وإنّما نجد حقائق الحقائق وجوهرية العلوم والفنون في مدرستهم العلياء وبيوتهم التي رفعها الله سبحانه.

وقيل: إنّ مبادئ العرفان ومدارسه في القرن الثامن الهجري لم تكن تزيد على سلوك العارف وقوّة تخيّله وتأمّله، ومن هنا يمكن القول بأنّ جعفراً الصادق عليه السلام كان له خيال وتفكير عرفاني عميق، وإذا كان من آثار العرفان على العارف تغيير أُسلوب حياته والتأثير في خلقه وسلوكه وأدبه، فلسنا نشكّ في أنّ جعفراً الصادق عليه السلام كان بهذا رائداً وإماماً للغير، ولكن لا علاقة لهذا السلوك المعنوي بالعلوم التجريبية والمادية في الإسلام.

وكان الصادق عليه السلام أوّل عالم وخبير في العلوم التجريبية في الإسلام، وهو أوّل عالم

جمع بين النظرية العلمية والتجربة العملية، ولم يكن يقبل أو يؤيّد نظرية في الفيزياء أو الكيمياء إلاّ بعد التحقّق منها بنفسه في التجربة العملية والاختبار، وعالم كهذا، لا يهتمّ بعلوم نظرية بحتة اهتمامه بالعلوم التجريبية.

وفي التأريخ الإسلامي إنّ الإمام الصادق عليه السلام كان أوّل عالم تحدّث عن الفيزياء والكيمياء، وهو في نفس الوقت يعدّ في طليعة العرفاء والزهّاد. حتّى إنّ الإمام الزمخشري[٩٧] بعدما أثنى عليه في كتابه " ربيع الأبرار " ثناءً كريماً، عدّه من طلائع العرفاء وزعمائهم.

وكان العطّار النيسابوري صاحب " تذكرة الأولياء " يرى بدوره أنّ الصادق عليه السلام رائد للعرفاء، ولكن شتّان بين ما سجّله الزمخشري وهو عالم مدقّق، وبين ما أورده العطّار، وهو صوفي جماعة، يجمع بدافع من المحبّة كلّ ما سمع وقرأ، ومؤلّفه يثبت أنّه كان مغرماً ومتيّماً بحبّ العرفاء والصوفية العظام، فهو يكتب عنهم بعين الرضا والقبول، وبالمغالاة أحياناً، ولولا حبّه هنا لما وقع في هفوات.

ويمكن القول إنّ القلم في يد الزمخشري يتحكّم فيه العقل والدقّة، أمّا القلم في يد العطّار فيتحكّم فيه الحبّ والعشق، وأيّاً كان الأمر، فالصادق عليه السلام يعدّ في تأريخ العلوم الإسلامية من مؤسّسي علم العرفان الواقعي.

ولا شكّ في أنّ دروسه في العرفان كان يحضرها عدد من غير المسلمين، فقد قيل إنّ نفراً من الصابئة[٩٨] قرأوا عليه، والصابئة بآرائهم الدينية هم وسط بين المسيحية واليهود، وكانوا يعدّون من الموحّدين في الإسلام، وكان بعضهم يتظاهر بالإسلام دفاعاً عن النفس أو حرصاً على المال، وكان مركزهم (حرّان) غرب بلاد ما بين النهرين (العراق)، وكان هذا المركز يسمّى قديماً عند الأُوروبيين بـ (كارة)، ومن عادات الصابئة تعميد الطفل بعد ولادته وتسميته. جاء في دائرة المعارف الإسلامية: إنّ كلمة صابئي مأخوذة من صبّ الماء وغسله، لأنّ الصابئة تغسل الطفل بعد الولادة بتعميده في الماء، وكانت الصابئة تقول بنبوّة يحيى المعمدان (يوحنا) بن زكريا[٩٩] .

ويقول العطّار النيسابوري: إنّ أُناساً من جميع القرى كانت تحضر درس الإمام الصادق عليه السلام وتنهل من معينه.

ويقول الشيخ أبو الحسن الخرقاني[١٠٠]: إنّ المسلم والكافر استفاد كلاهما من فضل الصادق عليه السلام وعلمه.

ويقول بعض الكتّاب: لا ندري هل كان تسامح الصادق عليه السلام مع غير المسلم راجعاً إلى عرفانه وزهده، أو إنّه كان ينظر إلى الأُمور بمنظار شامل، وكان يريد الخير والعلم للجميع ولهذا فهو يسمح لمن حضر درسه بأن يستمع إليه ولو كان غير مسلم، وفي دائرة المعارف الإسلامية إنّ هناك مَن يقول إنّ جابراً بن حيّان- وهو من أشهر أصحاب الصادق عليه السلام- كان من الصابئة أيضاً.

وكان الصابئة في درس الإمام مولعين بتحصيل العلم، وكانوا يبذلون قُصارى جهدهم لاستيعاب الدروس وفهمها، وبهذا استطاعوا وضع أُسس علمية ثقافية للصابئة، وبمقارنة ثقافة الصابئة قبل عهد الصادق عليه السلام وبعده نرى فرقاً شاسعاً كالفرق بين النور والظلمة.

وكان الصابئة قبل الصادق عليه السلام فئة منطوية على نفسها، لا يُعرف عنها شيء كثير كما إنّهم هم أنفسهم لم يكونوا يعرفون الكثير ولم يكن علمهم يتجاوز علم البدوي من العرب، ولكن اشتهر بعد الصادق عليه السلام كثيرٌ منهم في ميادين الكيمياء والطبّ والنجوم، وأصبحوا أُمّة ذات ثقافة وشهرة. ويقع الباحث في دوريات المعارف والمعاجم على أسماء كثير منهم.

وإلى الصادق عليه السلام يُعزى الفضل في أنّ الصابئة الغارقة في الجهل والحرمان قد أصبحت طائفة متقدّمة متمدّنة اشتهر كثير من أبنائها في ميادين العلوم المتباينة، كما انتفع العالم بثقافتهم وعلمهم، وبفضل إشعاع مدرسة الصادق عليه السلام- كما تشعّ الشمس على كلّ الناس - بقيت لهؤلاء القوم شخصيتهم الخاصّة وكيانهم المستقلّ واشتهر بعضهم وذاع صيته، وما زال البعض منهم يعيش في المنطقة نفسها (حرّان)، وإن كان عددهم قد تواضع عمّا كان عليه قبلا.

وكما أسلفنا بيانه، هناك إجماع بين الشيخ أبي الحسن الخرقاني والزمخشري والعطّار النيسابوري على أنّ جعفراً الصادق عليه السلام هو قدوة العرفاء في التأريخ الإسلامي، ولا غرو أن يذكروه بعظيم الإجلال والاحترام والودّ.

إن عرفان الصادق عليه السلام هو أسمى ما وصل إليه الفكر البشري لبلوغ الصفاء والتكامل

النفسي والروحي؛ لأنّه عرفان إلهي نبوي علوي. وكان مذهبه من السموّ والرفعة بحيث تقاصر عن فهمه وتحليله وتبنّيه كثيرٌ من الناس سواء في عصره أو في العصور التي تلته عندما تشعّب العرفان وأصبحت له مدارس وفرق متعدّدة.

أما مذهب زردشت[١٠١] القائل بمبدأين هما مبدأ الخير ومبدأ الشرّ قد بنى تعاليمه على الثنائية، وكان يدين بأنّ العالم مبنيّ على الأضداد وإنّ لكلّ شيء قطبين هما القطب المثبت والقطب المنفي.

ألا إن عرفان الصادق عليه السلام تميّز عند ظهوره بالتوحيد، وسيظلّ هذا ديدنه نابذاً الثنائية والتثليث، تاركاً الغلوّ والسرف في تعريف صفات الخالق أو المخلوق كما حدث للعرفان الإسلامي أحياناً في أدوار متأخّرة، كما ينفي وحدة الوجود المتاه الذي وقع فيه كثير من الصوفية والعرفاء.

إنّ الغلوّ قد دفع ببعض المشايخ والعرفاء إلى الانحراف، فَفَاهَ بعضهم بعبارات وأقوال انبعث منها الشرك والكفر، حتّى انفضّ عنهم كثيرٌ من أنصارهم وأتباعهم، أو هم قد وقعوا في شطحات وطامات كبرى[١٠٢] انتهت ببعضهم إلى القول: " سبحاني سبحاني ما أعظم شأني، ليس في جبّتي سوى اللّه "[١٠٣]، ولهذا رأينا أنّ العلاّمة الزمخشري ينفر منهم وينتقدهم - أي الطبقة المغالية - ولكنّ عرفان الصادق عليه السلام كان بعيداً عن المبالغات والترّهات، وكان مبنياً على أساس توحيديّ في تنزيه الخالق عن صفات المخلوق، والمخلوق عن الخالق، ولهذا تبعته الشيعة بأسرها وكثيرٌ من أهل السنّة أيضاً.

تفسير الإمام الصادق عليه السلام العرفاني للقرآن:

وهذا تفسير لآيات قرآنية يحمل في طيّه شيئاً من العرفان والمعاني السامية ينسب ذلك إلى الإمام الصادق عليه السلام وجدناه في كتاب (حقائق التفسير) للسلمي المتوفّى ٤١٢هـ وقد حقّقه الأب بولس نويا. ورأيت فيه ما لا يتلائم مع مذهب الإمام الصادق عليه السلام الثابت عن أهل البيت عليهم السلام في نصوصنا الشرعية. فأشرت إلى بعض ذلك كما حذفت البعض الآخر، ورأيت أن أدرجه في هذا البحث عسى أن يُنتفَع به، ولا تنافي بين ما ذكره الإمام عليه السلام وبين ما يذكر في التفاسير والنصوص الأُخرى، فإنّ :-

أوّلا: من باب التأويل وليس التفسير.

وثانياً: من باب أنّ القرآن الكريم يحمل وجوهاً وبطوناً إلى ما شاء الله سبحانه، وأنّه غضّ جديد لا يُبلى وأنّ كنوزه ومعانيه السامية التي لا يمسّها إلاّ المطهّرون من الدنس والرجس والخبائث والذنوب والآثام تتماشى مع كلّ عصر إلى يوم القيامة (نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ) وكلّ ما تقدّم العلم وازدهر وتطوّرت الفنون فإنّ القرآن العظيم تتجلّى آياته ومعانيه أكثر فأكثر، فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم بل كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلا﴾؛ فمن هذا المنطلق تكثر التفاسير يوماً بعد يوم ويقف الإنسان أمام القرآن كتاب الله القويم وعظمته خاضعاً خاشعاً حامداً مسبّحاً مستغفراً سائلا المولى القدير العلم والتوفيق والتسديد.

"ولم يشتغل أحدٌ منهم بجمع فهم خطابه على لسان أهل الحقيقة إلاّ آيات متفرّقة نُسبت إلى أبي العباس بن عطاء وآيات ذُكر أنّها عن جعفر بن محمد الصادق رضي اللّه عنهما على غير ترتيب ".

- حُكي عن جعفر بن محمد أنّه قال: كتاب اللّه على أربعة أشياء: العبارة والإشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوامّ والإشارة للخواصّ واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء. وفي تفسير الـ(بِسْم): عن جعفر بن محمد، قال: الباء بقاؤه، والسين أسماؤه، والميم ملكه. فإيمان المؤمن ذكره ببقائه وخدمة المريد ذكره بأسمائه والعارف فناؤه عن المملكة بالمالك لها. وقال أيضاً: (بِسْم) ثلاثة أحرف: باء وسين وميم. فالباء باب النبوّة، والسين سرّ النبوّة الذي أسرّ النبيّ به إلى خواصّ أُمّته، والميم مملكة الدين الذي يعمّ الأبيض والأسود[١٠٤]...

- عن جعفر بن محمد، إنّه سُئِل عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، قال: الباء بهاء اللّه، والسين سناؤه، والميم مجده. واللّه إله كلّ شيء، الرحمن لجميع خلقه، الرحيم بالمؤمنين خاصّة[١٠٥].

- ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ (البقرة:١٥٨)، عن جعفر بن محمد الصادق، قال: الصفا الروح لصفائها عن درن المخالفات، والمروة النفس لاستعمالها المروّة في القيام بخدمة

سيّدها. وقال: الصفا صفاء المعرفة والمروة مروّة العارف[١٠٦].

- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ (البقرة:٢١٠)، قال جعفر: هل ينظرون إلاّ إقبال اللّه عليهم بالعصمة والتوفيق فيكشف عنهم أستار الغفلة فيشهدون برّه ولطفه بل ويشاهدون البار الرحيم اللطيف[١٠٧].

- قال جعفر، في قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ (البقرة:٣١)، قال: قيّد أسرار الصدّيقين بمتابعة محمّد صلى الله عليه وآله لكي يعلموا أنّهم وإن علَت أحوالهم وارتفعت مراتبهم لا يقدرون مجاورته ولا اللحوق به[١٠٨].

- قال جعفر: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ (البقرة:٧٩)، قال: مستمعين بسمع القلوب ناظرين بأعين الغيوب[١٠٩].

- قال اللّه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (البقرة:٩٢). قال جعفر: لن تنالوا معرفتي وقربي حتى تخرجوا من أنفسكم وهممكم بالكلية. وقال جعفر: بإنفاق المُهج يصل العبد إلى برّ حبيبه وقرب مولاه[١١٠].

- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (البقرة:١٩١)، قال جعفر: يذكرون اللّه قياماً في مشاهدات الربوبية وقعوداً في إقامة الخدمة وعلى جنوبهم في رؤية الزلف[١١١].

- ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:٢٠٠)، قال جعفر: اصبروا عن المعاصي وصابروا على الطاعات ورابطوا الأرواح بالمشاهدة واتّقوا اللّه أي تجنّبوا الانبساط مع الحق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، تبلغون مواقف أهل الصدق فإنّه محلّ الفلاح[١١٢].

- ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس:٥٧)، قال جعفر: لبعضهم شفاء المعرفة والصفاء ولبعضهم شفاء التسليم والرضا ولبعضهم شفاء التوبة والوفاء ولبعضهم شفاء المشاهدة واللقاء[١١٣].

- ﴿الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾ (الرعد:٩)، قال جعفر: كبُر في قلوب العارفين محلّه فصغر عندهم سواه. وتعالى عن أن يتقرّب إليه إلاّ بصرف كرمه[١١٤].

- عن جعفر بن محمد في قوله ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ قال: طهّر نفسك عن مخالطة المخالفين والاختلاط بغير الحقّ ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ مع فؤاد العارفين المقيمين معه على بساط الأُنس والخدمة ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج:٢٦) الأئمّة السادة الذين رجعوا إلى البداية عن تناهي النهاية[١١٥].

- قال جعفر في قوله ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ (النمل:٦١): ' من جعل قلوب أوليائه مستقر معرفته، وجعل فيها أنوار الزوائد من بره في كل نفس وأثبتها بحبال التوكل، وزينها بأنوار الإخلاص واليقين والمحبة، وجعل بينهما حاجزا أي القلب والنفس لئلا يقلب عليه النفس وظلماتها. فيظلمها فجعل الحاجز بينهما التوفيق، والعقل[١١٦].

- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ (العنكبوت:٦٩)، قال جعفر: المجاهدة صدق الافتقار وهو انفصال العبد من نفسه واتّصاله بربّه. والمجاهدة تبرئ العبد من جميع ما اتّصل به والمجاهدة بذل الروح في رضاء الحقّ. وقال أيضاً: مَن جاهد بنفسه لنفسه وصل إلى كرامة ربّه ومَن جاهد بنفسه لربّه وصل إلى ربّه[١١٧].

- قال جعفر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ (الزمر:٧٤) هو حمد العارفين الذين استقرّوا في دار القرار مع اللّه تعالى. وقوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ (فاطر:٣٤) حمد الواصلين[١١٨].

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت:٣٠)، قال جعفر: استقاموا مع اللّه تعالى بحركات القلوب مع مشاهدات التوحيد[١١٩].

- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (الطور:٤٨)، قال جعفر: عند هذا الخطاب سهّل عليه معالجة الصبر واحتمال مؤونته. وكذلك كلّ حال يرد على العبد في محلّ المشاهدة[١٢٠].

- ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (النجم:١)، قال جعفر: هو محلّ التجلّي والاستتار من قلوب أهل المعرفة[١٢١].

- ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ (الواقعة:٣٣)، قال جعفر: لم يقطع عنهم المعرفة والتأييد ولو قطع ذلك عنهم لهلكوا ولا يمنعوا من التلذّذ بمجاورة الحقّ ولو مُنِعُوا عن ذلك لأستوحشوا.

وفي تفسير قوله تعالى:- ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ (الواقعة:٧٣)، قال جعفر: موعظة للتائبين وآلة للأقوياء من العارفين في حمله(١٢٢).

- ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾ (الانسان:٢١)، قال جعفر: سقاهم التوحيد في السرّ فتاهوا عن جميع ما سواه فلم يفيقوا إلاّ عند المعاينة، ورفع الحجاب فيما بينهم وبينه وأخذ الشراب في أُخذ عنه فلم يبقَ عليه منه باقية وخصلة في ميدان السرور والحضور والقبضة(١٢٣).

- ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار:١٣-١٤)، قال جعفر: النعيم المعرفة والمشاهدة والجحيم النفوس فإنّ لها نيران تتّقد(١٢٤).

- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ (الضحى:٩-١٠) قال جعفر: اليتيم العاري عن خلعة الهداية لا تقنطه من رحمتي فإنّي قادر أن أُلبسه لباس الهداية. والسائل إذا سألك عنّي فدلّه عليّ بألطف دلالة فإنّي قريب مجيب(١٢٥).

- عن جعفر بن محمد قال في قوله عزّ وجلّ ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾ (الهمزة:٦-٧)، قال: النيران شتّى مختلفة: فمنها نار المحبّة والمعرفة تتّقد في أفئدة الموحّدين. ونيران جهنّم تتّقد في أفئدة الكافرين. ونيران المحبّة إذا اتّقدت في قلب المؤمن احترقت كلّ همّة لغير اللّه وكلّ ذكر سوى ذكره(١٢٦).

هذا ما استوعبه البحث من تفسير الإمام جعفر الصادق عليه السلام العرفاني لبعض آيات القرآن نقلا عن حقائق التفسير للسلمي وهناك الكثير من الآيات الا أن خوفنا من الاطالة منعنا من ادراجها.

أحاديث الصادق عليه السلام العرفانية:

وفي ختام هذا البحث نقدّم نماذج من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام العرفانية للاستدلال على وحدانية تفكيره عليه السلام العرفاني وعمق أصالة العبودية للواحد القهّار سبحانه وتعالى:-

- عن البهائي قدس الله روحه ما هذا لفظه: قال الشيخ شمس الدين محمد بن مكي: نقلت من خط الشيخ أحمد الفراهاني رحمه الله، عن عنوان البصري - وكان شيخا كبيرا

قد أتى عليه أربع وتسعون سنة - قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوما: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي، وخذ عن مالك، واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاغتممت من ذلك، وخرجت من عنده وقلت في نفسي:

لو تفرس في خيرا لما زجرني عن الاختلاف إليه والاخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلمت عليه، ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين، وقلت: أسألك يا الله يا الله أن تعطف علي قلب جعفر وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم، ورجعت إلى داري مغتما ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري[١٢٧]، فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرا وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟ فقلت: السلام على الشريف فقال: هو قائم في مصلاه، فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلا يسيرا إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله، فدخلت وسلمت عليه، فرد السلام وقال: اجلس غفر الله لك، فجلست فأطرق مليا، ثم رفع رأسه، وقال: أبو من؟ قلت أبو عبد الله، قال: ثبت الله كنيتك ووفقك، يا أبا عبد الله ما مسألتك؟ فقلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيرا، ثم رفع رأسه، ثم قال: ما مسألتك؟ فقلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك، وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته، فقال: يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولا في نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك. قلت: يا شريف فقال: قل يا أبا عبد الله، قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟

قال: ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا، لان العبيد لا يكون لهم ملك يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيرا، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكا هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان

عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا، وإبليس، والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثرا وتفاخرا، ولا يطلب ما عند الناس عزا وعلوا، ولا يدع أيامه باطلا، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: تلك الدار الآخرة نجعله للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين.

قلت: يا أبا عبد الله أوصني، قال: أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها، قال عنوان: ففرغت قلبي له.

فقال: أما اللواتي في الرياضة: فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالا وسم الله، واذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله: ما ملا آدمي وعاءا شرا من بطنه فإن كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحدة سمعت عشرا فقل: إن قلت عشرا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقا فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذبا فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك، ومن وعدك بالخنى[١٢٨] فعده بالنصيحة والرعاء.

وأما اللواتي في العلم: فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتا و تجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئا، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسرا.قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي، فإني امرء ضنين بنفسي، والسلام على من اتبع الهدى[١٢٩].

- قال الصادق عليه السلام: العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، ولو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه، والعارف أمين ودائع الله وكنز أسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا فلا مؤنس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلاّ بالله ولله ومن الله ومع الله فهو في رياض قدسه متردّد ومن لطائف فضله إليه متزوّد والمعرفة أصل فرعه الإيمان[١٣٠].

- تفسير علي بن إبراهيم: أبي، عن الاصفهاني، عن المنقري، عن حفص، قال:- قال أبو عبد الله قال عليه السلام لحفص: يا حفص، ما منزلة الدنيا من نفسي إلاّ بمنزلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها، يا حفص: إنّ الله تبارك وتعالى علم ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون، فحلم عنهم عند أعمالهم السيّئة لعلمه السابق فيهم، فلا يغرّنك حسن الطلب ممّن لا يخاف الفوت ثمّ تلا قوله ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ...﴾ إلى آخر الآية، وجعل يبكي ويقول: ذهب والله الأمانيّ عند هذه الآية.

ثمّ قال: فازوا والله الأبرار، أتدري مَن هم؟ هم الذين لا يؤذون الذرّ، كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلا، يا حفص، إنّه يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد، ومَن تعلّم وعلّم وعمل بما علم دعي في ملكوت السماوات عظيماً، فقيل: تعلّم لله وعمل لله وعلّم لله.

قلت: جعلت فداك، فما حدّ الزهد في الدنيا ء فقال: فقد حدّ الله في كتابه فقال عزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾ إنّ أعلم الناس بالله أخوفهم لله وأخوفهم له أعلمهم به وأعلمهم به أزهدهم فيها، فقال له رجل: يا ابن رسول الله أوصني، فقال: اتّق الله حيث كنت فإنّك لا تستوحش[١٣١].

- وقال عليه السلام: أفضل الوصايا وألزمها أن لا تنسى ربّك وأن تذكره دائماً ولا تعصيه، وتعبده قاعداً وقائماً، ولا تغترّ بنعمته واشكره أبداً ولا تخرج من تحت أستار عظمته وجلاله فتضلّ وتقع في ميدان الهلاك، وإن مسّك البلاء والضرّ وأحرقتك نيران المحن واعلم أنّ بلاياه محشوّة بكراماته الأبدية ومحنة مورثة رضاه وقربه ولو بعد حين، فيا لها من مغنم لمن علم ووفّق لذلك[١٣٢].

- **مصباح الشريعة:** قال الإمام الصادق عليه السلام: نجوى العارفين تدور على ثلاثة أُصول: الخوف، والرجاء، والحبّ. فالخوف فرع العلم، والرجاء فرع اليقين، والحبّ فرع المعرفة. فدليل الخوف الهرب، ودليل الرجاء الطلب، ودليل الحبّ إيثار المحبوب على ما سواه.

وإذا تحقّق العلم في الصدر خاف (فإذا كثر المرء من المعرفة خاف) وإذا صحّ الخوف هرب، وإذا هرب نجا. وإذا أشرف نور اليقين في القلب شاهد الفضل، وإذا تمكّن من رؤية

الفضل رجا، وإذا وجد حلاوة الرجاء طلب، وإذا وفّق للطلب وجد. وإذا تجلّى ضياء المعرفة في الفؤاد هاج ريح المحبّة، وإذا هاج ريح المحبّة استأنس ظلال المحبوب وآثر المحبوب على ما سواه باشر أوامره واجتنب نواهيه واختارهما على كلّ شيء غيرهما(١٣٣).

- **الكفاية:** قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ أُولي الألباب الذين عملوا بالفكرة، حتّى ورثوا منه حبّ الله، فإنّ حبّ الله إذا ورثه القلب واستضاء به أسرع إليه اللطف، فإذا نزل اللطف صار من أهل الفوائد، فإذا صار من أهل الفوائد تكلّم بالحكمة (وإذا تكلّم بالحكمة) صار صاحب فطنة، فإذا نزل منزلة الفطنة عمل في القدرة، فإذا عمل في القدرة عرف الأطباق السبعة، فإذا بلغ هذه المنزلة صار يتقلّب في فكر بلطف وحكمة وبيان، فإذا بلغ هذه المنزلة جعل شهوته ومحبّته في خالقه، فإذا فعل ذلك نزل المنزلة الكبرى فعاين ربّه في قلبه، وورث الحكمة بغير ما ورثه الحكماء، وورث العلم بغير ما ورثه العلماء، وورث الصدق بغير ما ورثه الصدّيقون.

إنّ الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت، وإنّ العلماء ورثوا العلم بالطلب، وإنّ الصدّيقين ورثوا الصدق بالخشوع وطول العبادة، فمن أخذه بهذه السيرة إمّا أن يسفل وإمّا أن يرفع، وأكثرهم الذي يسفل ولا يرفع، إذا لم يرع حقّ الله ولم يعمل بما أُمر به، فهذه صفة مَن لم يعرف الله حقّ معرفته ولم يحبّه حقّ محبّته، فلا يغرّنك صلاتهم وصيامهم ورواياتهم وعلومهم فإنّهم حُمُرٌ مستنفرة(١٣٤).

- **جامع الأخبار:** قال الإمام الصادق عليه السلام: القلب حرم الله، فلا تسكن حرم الله غير الله(١٣٥).

- **علل الشرائع:** عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لحمران: يا حمران، انظر إلى مَن هو دونك، ولا تنظر إلى مَن هو فوقك في القدرة، فإنّ ذلك أقنع لكَ بما قسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربّك، واعلم أنّ العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين، واعلم أنّه لا ورع أنفع من تجنّب محارم الله والكفّ عن أذى المؤمنين واغتيابهم، ولا عيش أهنأ من حسن الخلق، ولا أنفع من القنوع باليسير المجزي، ولا جهل أضرّ من العجب(١٣٦).

- **الخصال:** عن أبي شعيب يرفعه إلى أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: أورع الناس من وقف عند الشبهة، أعبد الناس من أقام الفرائض، أزهد الناس من ترك الحرام، أشدّ الناس اجتهاداً من ترك الذنوب(١٣٧).

وهذا يسير من كثير ومَن يرد المزيد فليراجع بحار الأنوار، الجزئين ٦٧ و ٧٥، وكتاب مصباح الشريعة المنسوب إلى أحاديث الإمام الصادق عليه السلام.

الخاتمة:ـ

إن التصوف مطية العاجزين الطامحين أذ إن الطريق الذي سلكه هؤلاء يسهل سلوكه على كل أحد، ويسهل ادعاء الوصول فيه إلى الغايات والمقامات، من العالم والجاهل، ومن الكبير والصغير، ومن الذكي والغبي. ولا يحتاج في ذلك إلى أي دليل، فإن دعوى الكشف والشهود والعلم اللدني تحل أعظم المشكلات، وتسهل كل عسير. وهذا الطريق هو مطية الطامحين العاجزين، والكسالى، حيث يحصلون من خلاله على ما يريدون بلا تعب ولا نصب، وبلا سهر، أو إجهاد فكر في الدراسة طيلة عشرات السنين، لمعرفة أحكام الله، وحقائق الدين، ومعاني آيات القرآن.

وهو يفسح المجال لطلابه ليدعوا: أن أحدهم، حتى وهو يهذي، يكون في نفس هذيانه هذا أحكم الحكماء وأعلم العلماء، وليس لأحد أن يطالبه بدليل، أو برهان، لأن الكشف هو عصى موسى، والوحي الإلهي الصادق.. إنهم باختراعهم أوراداً، وأذكاراً، وصلوات، وعبادات، لم يأت بها كتاب، ولا سنة، يستطيعون أن يشغلوا الناس بها عن أهل البيت عليهم السلام، ويصرفوهم عنهم، كما أنهم بذلك ينزعون عن أنفسهم صفة التقليد، والحاجة إلى الأخذ من الغيرة..

العرفان عند الصادق عليه السلام يرتكز على التوكّل على اللّه تعالى وتنفيذ أحكامه وأوامره، والامتثال لنواهيه دون إهمال شؤون الدنيا أو تركها لئلاّ تضطرب الحياة اليومية وتفقد صفاءها وسعادتها، فهو لا يوصي بترك الدنيا للوصول إلى السعادة بل يرى أنّ السعادة هي في التوكّل على اللّه والتقوى، وتقبّل حظوظ الدنيا المشروعة. فليس منّا مَن ترك دنياه لآخرته وآخرته لدنياه، بل كما قال الله تعالى:- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص: ٧٧)

وليس في عرفان الصادق عليه السلام كلامٌ عن وصول العارف إلى اللّه وهو التفكير الأساسي الذي دان به كثيرٌ من الصوفية والعرفاء في القرون التي تعاقبت بعد عصر الصادق عليه السلام، فالوصول إلى اللّه عند الصادق عليه السلام يطابق تماماً ما صوّره القرآن الكريم، أي إنّ الإنسان هو صنيع اللّه ومخلوقه وهو منه وإليه يرجع. وليس معنى هذا إنّ الإنسان يلتحق بالذات الإلهية ويصبح جزءاً منها، ولكنّ معناه أنّ الإنسان مخلوقٌ ومصنوع ويظلّ هذا وضعه دائماً ويستحيل عليه أن يكون خالقاً، ومتى مات رجع إلى اللّه وبرجوعه إليه تعالى يكون شديد القرب من الخالق، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وإنّك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فملاقيه.

The paths of the human self between integration and vulgarity in the thought (of Imam Sadiq "p.b.u.h.")

Researcher: Asst. Prof.
Alaa Ibrahim Al-Malissi Al-Mousawi
Researcher: Afrah Hasan Hadi
University of Babylon / Faculty of Basic Education

Abstract:-

The happiness of the human self can only be obtained and gained by purifying it from the colors of the materialism love, struggling and raising it from the animal level and this is one of the ways to reach Allah Almighty. There is a valuable word for the people of knowledge and it is:(The ways to Allah realization in the number of the creatures breaths are many and many more).

Hence, the Muslims went on cleansing and struggling of the self and took this path of self-integration so that they qualify it to reach Allah Almighty, including those who named this path "the gratitude" and others called it "Sufism". Consequently, the difference started here around which of the two paths is the right one and both has its own opinion.

Therefore, in all intellectual disputes, and in order to our path be straight and on the right way, we must refer to the standards that the Islam has set, and to which we are adjudged and inspired, namely, the Book of Allah Almighty and the Sunna of his prophet and his family, from whom Allah

has removed the impurity and purified them with extensive purification, and their pure and fragrant biography.

The gratitude in the thought of Imam Sadiq "p.b.u.h." is based on trust in Allah and the execution of its judgments and orders, and compliance with the prohibitions without neglecting the affairs of the world or leaving it, lest the daily life disturbs and loses its serenity and happiness, as the Sufis went with. Allah does not recommend leaving earthly life to reach happiness, but Allah sees the happiness in trust in Allah and devoutness, and accepting the legitimate fortunes of the world.

هوامش البحث

(١) - ابن منظور، محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، (ط١، دار الفكر، بيروت، د.ت) ج ٩ ص ٢٣٦، مادّة عرف وما بعدها.

(٢)- يثربي، يحيى، **العرفان النظري (بالفارسيّة)**، (ط١، نشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٩٩٥ م): ص٢٧ - ٢٨.

(٣) - انظر:يثربي، يحيى، **مقدّمة القيصري على شرح تائيّة ابن الفارض المطبوعة ضمن كتاب العرفان النظري (فارسي)**، (ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٩٩٥ م): ص ٢٣٢.

(٤)- القاشاني، كمال الدّين عبد الرزّاق، **اصطلاحات الصوفيّة**، ضبط وتعليق: موفّق فوزي الجبر، (ط١، سورية، ١٤١٥ ه)- ص

(٥) - اليزدي، محمّد تقي مصباح، **محاضرات في الأيديولوجيّة المقارنة**، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، (دار الحقّ، قم، د.ت)ص ٢٠ - ٢١.

(٦) - ابن سينا: عُرف بالشيخ الرئيس ابن سينا. ولد في أفشنة قرب مدينة بخارى الطاجيكيّة وتوفّي في مدينة همدان الإيرانيّة

(٧) - ابن سينا، الشيخ أبو علي، حسين بن عبد الله، **الإشارات والتنبيهات**، (ط٢، الناشر: مكتب نشر الكتاب، ١٤٠٣ ه): ج ٣، ص ٣٦٩.

(٨) - عطار، فريد الدّين محمود، **تذكرة الأولياء**، تحقيق محمّد استعلامي، (انتشارات زوار، إيران، ١٩٦٧ م): ص ١٩٢.

(٩)- عطار، المصدر السابق: ص ١٩٣.

(١٠) - سجّادي، ضياء الدّين، **مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان**، (ط١، منشورات دار الهادي، بيروت، ١٤٢٣ ه - ٢٠٠٢ م): ص ١٤.

(١١) - الجابري، محمّد عابد، **بنية العقل العربي: دراسة تحليليّة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربيّة**، (ط٤، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، ١٩٩٢ م: (نقد العقل العربي ((٢))): ص ٢٥٣.

(١٢)- سبيلا، د. محمد، **الأيديولوجيا: نحو نظرة تكامليّة**، (ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٢ م): ص ١٧٢.

(١٣) - زيادة، معن، **الموسوعة الفلسفيّة العربيّة**، (ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦ م): ج ١ ص ٥٨٧.

(١٤)- المجلسي، محمّد باقر، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، ط٣، مؤسّسة الوفاء، بيروت،، ١٤٠٣ هـ -: ج ٢، ص ٣٣، باب ١، ح ٢٦

(١٥)- المجلسي، المصدر السابق: ج ١، ص ٢١٨، باب ١، ح ٤٤.

(١٦) -الآملي، حيدر بن علي بن حيدر، **جامع الأسرار ومنبع الأنوار مع رسالة نقد النقود في معرفة الوجود**، تحقيق: هنري كوربان وعثمان يحيى، الترجمة الفارسيّة: السيّد جواد الطباطبائي، (المركز الفرنسي للدراسات الإيرانيّة، شركة المنشورات العلميّة والثقافيّة، طهران، ٢٠٠٢ م): ص ٤٧٢.

(١٧) - الاملي، المصدر السابق: ص ٥٣٤.

(١٨) - الاملي، **جامع الأسرار ومنبع الأنوار مع رسالة نقد النقود في معرفة الوجود**،: ص ٤٩١.

(١٩) - عبدة، محمد نهج البلاغة،، (دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان، د.ت) ج٢، ص٢١١

(٢٠) - عبدة، **شرح نهج البلاغة**، ج٢، ص٢٠٤

(٢١) - الكليني، محمّد بن يعقوب، **الأصول من الكافي**، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلاميّة، إيران، ١٣٨٨ هـ): ج ١، ص ٣٥٢.

(٢٢) - سجادي، **مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان**: ص ١١.

(٢٣)- الطباطبائي، محمّد حسين، **الميزان في تفسير القرآن**، (ط٢، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٣٩٠ هـ، وط٥، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م)ج ٦، ص ١٩٢-١٩٣.

(٢٤) - الطباطبائي، المصدر السابق:ج٦ ص ١٩٣.

(٢٥) - الطباطبائي، المصدر السابق:ج٦ ص ١٩٣.

(٢٦) - الشيرازي، صدر الدّين، **تفسير القرآن الكريم**، تصحيح محمّد خواجوي، (ط١، انتشارات بيدار، قم، د. ت): ج ٦، ص ٢٣٣.

(٢٧) - الشيرازي، صدر الدّين، **المبدأ والمعاد**، تصحيح: جلال الدّين أشتياني، مع مقدّمة السيّد حسين نصر: ص٧.

(٢٨) - القشيري، أبو القاسم، **الرسالة القشيريّة**، مصر، ١٩٨٠ م: ج ١، ص ١٣٧ - ١٤٠.

(٢٩) - سجادي، **مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان**: ص٤..

(٣٠) - أبن منظور، **لسان العرب**: ج ١١، ص ١٠٢ - ١٠٣، مادّة (صوف)..

(٣١) - خورشيد، إبراهيم، وآخرون، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، (دار الشعب، القاهرة، د. ت): ج ٩، ص٣٣.

(٣٢)- قاسم، عبد الحكيم عبد الغني، **المذاهب الصوفيّة ومدارسها**، (ط١، منشورات مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩ م): ص ٢٥.

(٣٣) - الحسني، ابن عجيبة، **مصطلحات التصوّف** (من واقع كتابه مراجع التشوّف إلى حقائق التصوّف، عربي - فرنسي، إعداد وتقديم: د. عبد الحميد صالح حمدان، (مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٩ م): ص ٣.

(٣٤)- التهانوي، محمّد علي بن علي، **كشّاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق: محمد وجيه عبد الغني وغلام قادر، (انتشارات خيام، طهران، ١٩٦٧م) ج ١، ص ٨٤١.

(٣٥)- يعود هذا الكتاب إلى القرن الخامس الهجري ويعتبر من أقدم المصادر التي تناولت معنى التصوّف.

(٣٦) - أصحاب الصُفّة هم سلمان وأبو ذر وصُهيب وعمّار وغيرهم من الذين كانوا يعيشون حياة الزهد والقناعة، و ((الصُفّة)) تعني الظلّة والبهو الواسع العالي السقف، وهو مكان مظلّل في مسجد المدينة من الجهة الشماليّة وقد بناها النبيّ ص وكان يأوي إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول ص ويطلق عليهم ((أصحاب الصفة)).

(٣٧)- هجويري، علي بن عثمان جلاّبي، **كشف المحجوب**، تصحيح جوكوفسكي، إشراف محمّد عبّاسي، (انتشارات أمير كبير، طهران، ١٩٨٧م: ص ٩٧

(٣٨) - هو عبد الله بن علي السرّاج، توفّي في مدينة طوس عام ٣٧٨ هـ - ٩٨٨ م.

(٣٩)- السرّاج، عبد الله بن علي، **اللمع في التصوّف**، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود طه عبد الباقي، (مكتبة المتنبّي، بغداد، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م):ص ١٠٧

(٤٠) - ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدّمة**، تحقيق: علي عبد الواحد، (ط١، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠)ص ١٥٧

(٤١) - بن منوّر، محمد، **أسرار التوحيد**: ص ٢٩٧ - ٣٠٩، تصحيح ذبيح الله صفا (بالفارسية)، نقلاً عن كتاب مقدّمات تأسيسيّة، مصدر سابق: ص ٨.

(٤٢) - بن منور، المصدر السابق: ص ٢٩٨. والمعنى: أنّ غاية وكمال التصوّف هو الله، فهو المكان الذي يكون فيه الأنا والغير واحداً ولا معنى لكليهما.

(٤٣)- هجويري، **كشف المحجوب**: ص ٤١ -٤٢، وقوله: يصبح ناطقاً، يعني: نطقه وكلامه هو كلام الخالق وإفاضاته.

(٤٤)- الشبلي هو محمّد بدر الدّين أبو عبد الله (٩٤٦ م - ٩٨٦ م) من كبار الصوفيّة، كان والياً في دنباوند، فارق الدّنيا وهو في الأربعين من عمره، أصله من خراسان الإيرانية ونسبته إلى قرية شبلة، ولد بسامراء وتوفّي في بغداد، وفي اسمه اختلاف كبير.

(٤٥) - هجويري، **المصدر السابق**: ص ٦٦.

(٤٦) - هو الجنيد بن محمّد (أبو القاسم الزجاج القواريري) (ت ٩١٠ م) صوفي وزاهد بغدادي، ولد وتوفّي ببغداد، تلقّى العلوم الفقهيّة عن سفيان الثوري، والعلوم الصوفيّة عن خاله السري القسطي سيّد الطريقة الصوفيّة. حجّ ثلاثين حجّة ماشياً. أتباعه ومريدوه لا يحصيهم العدد، وهم منتشرون في أنحاء العالم.

(٤٧) - قاسم، **المذاهب الصوفيّة ومدارسها**: ص ٢١.

(٤٨) - ابن خلدون، **المقدّمة**: ص ٧٦.

(٤٩) - كاشاني، عزّ الدّين محمود، **مصباح الهداية (المقدّمة)**، حقّقه وقدّم عليه: جلال الدّين هُمايي: ص٨٨.

(٥٠) - الورداني، صالح، **فرق أهل السنة جماعات الماضي وجماعات الحاضر**، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم - ١٤٢٤ هـ.

(٥١) - راجع في ذلك كتاب **الفتوحات المكية** لأبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن عربي الحاتمي الطائي (ط دار صادر - بيروت. - لبنان).

(٥٢) - سجادي، **مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان**، مصدر سابق: ص ١٢.

(٥٣) - سجادي، **المصدر السابق**: ص ١٣.

(٥٤) - الشيرازي، صدر الدّين، **الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة**، (ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٠ م): ج ١، ص ٢٠.

(٥٥) - مطهري، مرتضى، **الكلام - العرفان - الحكمة العملية**، ترجمة: حسن علي الهاشمي، ط١، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٢٤١ هـ - ٢٠٠١ م: ص ٦٤

(٥٦) -راجع للتوسّع، مطهري: **المصدر السابق**: ص ١٠٠ - ١٠١.

(٥٧) - راجع في ذلك كتاب **سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار**، لعباس القمي، (ط٢، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، أيران، مشهد، ١٤٢٦هـ)، ج٣، ص١٤٤ كلمة صوف

(٥٨)-الري شهري، محمد، **ميزان الحكمة**(ط١، قم، دار الحديث، ١٤١٦ هـ. ق)المجلد الثاني، ص١٦٨٢

(٥٩) - الري شهري، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص١٦٨٢

(٦٠) - الري شهري، المصدر السابق، المجلد الثاني، ص١٦٨٢

(٦١)- القمي، عباس، **سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار**، ط٢، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، أيران، مشهد، ١٤٢٦هـ، ج٣، ص١٤٤

(٦٢) - القمي، المصدر السابق، ج٣، ص١٤٤

(٦٣) - ديخها اي أذلها وقهرها- النهاية لابن الاثير (ج٢، ص١٤٧، الهامش)

(٦٤) - جمع العس:- وهو القدح الضخم - لسان العرب ج٦/١٤٠

(٦٥)- بالكسر - اي الغبي والاحمق

(٦٦) -القمي، **سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار**، ج٣، ص١٤٤ عن حديقة الشيعة ص٦٠٢

(٦٧)- القمي، **المصدر السابق**، ج٣، ص١٤٤ عن حديقة الشيعة ص٦٠٥

(٦٨) - شبر، عبد الله، **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة** (ط١، مؤسسة الوفاء - بيروت. - لبنان سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م).ج٢، ص٢٧٥

(٦٩)- شبر، المصدر السابق،.ج٢، ص٢٧٥

(٧٠) - شبر، **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة**، ج٢، ص٢٧٥

(٧١) - شبر، المصدر السابق،.ج٢، ص٢٧٥

(٧٢) - الطباطبائي، محمد حسين، **الميزان في تفسير القران**، ج٥، ص٢٨١

(٧٣) - الطباطبائي، المصدر السابق، ج٥، ص٢٨١

(٧٤) - مغنية، محمّد جواد، **معالم الفلسفة الإسلاميّة نظرات في التصوّف والكرامات**، (ط٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٢ م): ص ١٨٩

(٧٥) - قدوح، إنعام محمّد، **التشيّع والتصوّف؛ لقاء أم افتراق**، (ط١، مركز جواد، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) ص ٧٩، ٨٠.

(٧٦) - قدوح، **التشيّع والتصوّف؛ لقاء أم افتراق**: ص ٧٩، ٨٠.

(٧٧) -المهاجر، جعفر، **الهجرة العامليّة إلى إيران في العصر الصفوي**، (ط١، دار الروضة، بيروت، ١٤٢٠ هـ -. ١٩٨٩ م): ص ٢٠٨

(٧٨) - مطهري، **الكلام - العرفان - الحكمة العمليّة**: ص ٩٦.

(٧٩) - مطهري، **المصدر السابق** ص ٩٧.

(٨٠) - انظر: قدوح، **التشيّع والتصوّف؛ لقاء أم افتراق**:: ص ٨٤ (ولمناقشة هذه الآراء راجع هذا المصدر في الفصل الثاني منه).

(٨١) - السراج، **اللمع في التصوّف**: ص ١٧٩.

(٨٢) - ابن خلدون، **المقدّمة**: ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

(٨٣) - انظر للتفصيل: أمين، أحمد، **ضحى الإسلام**، (دار المعرفة، بيروت، د. ت): ج ٢ ص ٢٤٥.

(٨٤) - أنظر للتفصيل: الشيبي، كامل مصطفى، **الصلة بين التشيّع والتصوّف**، (ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٤م): ج ٢، ص ٣٣٩

(٨٥) - الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، **الاثنا عشريّة في الردّ على الصوفيّة**، (دار الكتب العلميّة، قم، د.ت): ص١.

(٨٦) - مطهري، **الكلام - العرفان - الحكمة العمليّة**: ص ٩٧.

(٨٧) - مغنية، محمد جواد، **معالم الفلسفة الإسلاميّة نظرات في التصوف والكرامات** (منشورات المكتبة الأهلية - بيروت، د.ت)ص١٣

(٨٨) - نيكلسون " **الصوفية في الاسلام** " تعريب نور الدين شرية (دار صادر، بيروت، ١٩٥١)ص٩٠

(٨٩) - نيكلسون، المصدر السابق: ص ٨٨

(٩٠) - نيكلسون، المصدر السابق، ص ٦

(٩١) - نيكلسون، المصدر السابق، ص٨٤ نقلاً عن طه عبد الباقي سرور،، شخصيات صوفية، ص ٥٤ - ٥٦

(٩٢) - شبر، الأنوار **اللامعة في شرح الزيارة الجامعة**، ج١، ص٢٧٣

(٩٣) - شبر، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٣

(٩٤) - سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من أئمة الحديث عند العامة، ولد سنة ٩٧ ومات بالبصرة سنة ١٦١.

(٩٥) - الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، **الفروع من الكافي**، علق عليه: علي أكبر الغفاري (دار الكتب الاسلامية، ايران، ١٣٦٧)ج٥، ص٦٥

(٩٦) - الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، **الفروع من الكافي**، علق عليه: علي أكبر الغفاري (دار الكتب الاسلامية، ايران، ١٣٦٧)ج٥، ص٦٦

(٩٧) - هو جار اللّه محمود بن عمر أبو القاسم الزمخشري، ولد في زمخشر عام ٤٦٧وتوفّي ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م)، وهو إمام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير، سمّوه جار اللّه لأنّه جاور بمكّة. كان معتزلي الاعتقاد، ومن مؤلّفاته: المفصّل في النحو، والكشّاف عن حقائق التنزيل في التفسير وقد عرف به فهو صاحب الكشّاف وكفى، والفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، وأطواق الذهب، ونوابغ الكلم، وربيع الأبرار في التراجم.

(٩٨) - الصابئة ملّة تؤلّه الكواكب، ومنهم من يرى نفسه موصوفاً في القرآن بالصابئة.

(٩٩) خورشيد، **دائرة المعارف الإسلاميّة**: ج ٩، ص ٣٣.

(١٠٠) - الشيخ أبو الحسن الخرقاني من أئمة العرفاء والصوفية، ولد سنة ٣٥٢ للهجرة في قرية خرقان من توابع بسطام، وأخذ العلم والتصوّف والسلسلة من الشيخ ابن العباس أحمد بن محمد القصّاب الآملي. توفّي بخرقان ودفن بها سنة ٤٢٥ للهجرة.

(١٠١) - في رأي البعض أنّ الزردشتية وثنيون لقولهم بمبدأ الخير والشرّ. والشيطان في عرفهم - واسمه أهريمن - يمثّل مبدأ الشرّ، وينبغي على الناس اجتناب وساوسه واندفاعاته، فالخوف من الشيطان (أهريمن) أو اتّقاء شرّه ليس دليلا على أنّ الزر دشت جعلوا منه إلهاً ثانياًأو نسبوا إليه القدرة في التصرّف في هذا الكون. وفي تأريخ الفتوحات الإسلامية إنّ المسلمين عدّوا الزردشتية من أهل الكتاب وفرضوا عليهم الجزية وتركوهم على حرّيتهم الدينية.

(١٠٢) - جمعت هذه الكلمات والمصطلحات في كتاب " شطحات الصوفية ".

(١٠٣) - ينسب هذا الكلام وغيره من هذا القبيل إلى بايزيد البسطامي.

(١٠٤) - السلمي، أبى عبد الرحمن محمد ابن الحسين، **تفسير السلمي (الحقائق في التفسير)**، (ط١، نشر دار الكتب العلمية - بيروت. - لبنان، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).ج١، ص٢٦

(١٠٥)- الكاشاني، محسن الفيض، **كتاب تفسير الصافي**(ط٢، مؤسسة الهادي - قم المقدسة، ١٤١٦هـ)ج١، ص٨١

(١٠٦) - السلمي، المصدر السابق)، ج١، ص٦٩

(١٠٧) - السلمي، **تفسير السلمي (الحقائق في التفسير)**، ج١، ص٧٢

(١٠٨) - السلمي، المصدر السابق، ج١، ص٩٦

(١٠٩)- السلمي، المصدر السابق، ج١، ص١٠٣

(١١٠)- السلمي، المصدر السابق، ج١، ص١٠٧

(١١١)- السلمي، المصدر السابق، ج١، ص١٣٠

(١١٢)- السلمي، المصدر السابق، ج١، ص١٣٦

(١١٣)- السلمي، المصدر السابق، ج١، ص٣٠٤

(١١٤) - السلمي، المصدر السابق، ج١، ص٣٢٩

(١١٥)- السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٢٠

(١١٦) - السلمي، المصدر السابق)، ج٢، ص٩٤

(١١٧) - السلمي، **تفسير السلمي (الحقائق في التفسير)**، ج٢، ص١٢١

(١١٨) - السلمي، المصدر السابق، ج٢، ص٢٠٥

(١١٩) - السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٢٤٢

(١٢٠) - السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٢٨١

(١٢١) - السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٢٨٣

(١٢٢) - السلمي، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠١

(١٢٣) - السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٣٦٤

(١٢٤) - السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٣٧٨

(١٢٥) - السلمي، المصدر السابق ج٢، ص٤٠٢

(١٢٦) - السلمي، المصدر السابق، ج٢، ص٤٢٠

(١٢٧) - عيل صبري أي قلب.

(١٢٨) - الخنى: الفحش في الكلام

(١٢٩) - المجلسي، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، ج١، ص٢٢٥

(١٣٠)- الإمام جعفر الصادق عليه السلام، **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة**، (ط١، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م)ص١٩٠

(١٣١) - المجلسي، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**، ج٢، ص٢٧

(١٣٢)- الإمام جعفر الصادق عليه السلام، **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة**، ص١٦٢

(١٣٣)- الإمام جعفر الصادق عليه السلام، **المصدر السابق**، ص١٢٠

(١٣٤)- المجلسي، **المصدر السابق**، ج٣٦، ص٤٠٤

(١٣٥) - المجلسي، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار** ج٦٧، ص٢٥

(١٣٦) - المجلسي، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار** ٧٥: ١٩٨، نقلا عن علل الشرائع: ٥٥٩، الباب ٣٥٢.

(١٣٧) - الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، **الخصال**، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري(جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣ هـ)١، ١: ١٣٢. بحار الأنوار ٧٥: ١٩٤.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١- **أسرار التوحيد**/ محمد بن منوّر

٢- **اصطلاحات الصوفيّة**/ كمال الدّين عبد الرزّاق القاشاني

٣- **الاثنا عشريّة في الردّ على الصوفيّة**/ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي

٤- **الإشارات والتنبيهات**/ أبو علي حسين بن عبد الله ابن سينا

٥- **الأصول من الكافي**/ محمّد بن يعقوب الكليني

٦- **الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة**/ عبد الله شبر

٧- **الأيديولوجيا: نحو نظرة تكامليّة**/ محمد سبيلا

٨- **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**/ محمّد باقر المجلسي

٩- **بنية العقل العربي: دراسة تحليليّة نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربيّة**/ محمّد عابد الجابري

١٠- **التشيّع والتصوّف؛ لقاء أم افتراق**/ إنعام محمّد قدوح

١١- **تذكرة الأولياء**/ فريد الدّين محمود عطار

١٢- **تفسير السلمي (الحقائق في التفسير)**/ أبي عبد الرحمن محمد ابن الحسين السلمي

١٣- **تفسير القرآن الكريم**/ صدر الدّين الشيرازي

١٤- **جامع الأسرار ومنبع الأنوار مع رسالة نقد النقود في معرفة الوجود**/ حيدر بن علي بن حيدر الآملي.

١٥- **الخصال**/ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق

١٦- **الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة**/ صدر الدّين الشيرازي

١٧- **دائرة المعارف الإسلاميّة**/ إبراهيم خورشيد

١٨- **الرسالة القشيريّة**/ أبو القاسم القشيري
١٩- **سفينة البحار ومدينة الحكم والاثار**/ عباس القمي
٢٠- **الصلة بين التشيّع والتصوّف**/ كامل مصطفى الشيبي
٢١- **الصوفية في الإسلام**/ نيكلسون
٢٢- **ضحى الإسلام**/ أحمد أمين
٢٣- **العرفان النظري (بالفارسيّة)**/ يحيى يثربي
٢٤- **الفروع من الكافي**/ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني
٢٥- **فرق أهل السنة جماعات الماضي وجماعات الحاضر**/ صالح الورداني
٢٦- **الكلام - العرفان - الحكمة العملية**/ مرتضى مطهري
٢٧- **كتاب تفسير الصافي**/ محسن الفيض الكاشاني
٢٨- **كشّاف اصطلاحات الفنون**/ محمّد علي بن علي التهانوي
٢٩- **كشف المحجوب**/ علي بن عثمان جلاّبي هجويري
٣٠- **لسان العرب**/ محمّد بن مكرم ابن منظور
٣١- **اللمع في التصوّف**/ عبد الله بن علي السرّاج
٣٢- **المبدأ والمعاد**/ صدر الدّين الشيرازي
٣٣- **المذاهب الصوفيّة ومدارسها**/ عبد الحكيم عبد الغني قاسم
٣٤- **المقدّمة**/ عبد الرحمن ابن خلدون
٣٥- **الموسوعة الفلسفيّة العربيّة**/ معن زيادة
٣٦- **الميزان في تفسير القرآن**/ محمّد حسين الطباطبائي
٣٧- **محاضرات في الأيديولوجيّة المقارنة**/ محمّد تقي مصباح اليزدي
٣٨- **مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة**/ الإمام جعفر الصادق عليه السلام.
٣٩- **مصطلحات التصوّف**/ ابن عجيبة الحسني
٤٠- **مصباح الهداية**/ عزّ الدّين محمود كاشاني
٤١- **معالم الفلسفة الإسلاميّة نظرات في التصوّف والكرامات**/ محمّد جواد مغنية
٤٢- **مقدّمات تأسيسيّة في التصوّف والعرفان**/ ضياء الدّين سجّادي
٤٣- **مقدّمة القيصري على شرح تائيّة ابن الفارض المطبوعة ضمن كتاب العرفان النظري (فارسي)**/ يحيى يثربي.
٤٤- **ميزان الحكمة**/ محمد الري شهري
٤٥- **نهج البلاغة**/ محمد عبدة
٤٦- **الهجرة العامليّة إلى إيران في العصر الصفوي**/ جعفر المهاجر.